من التراث الاسلامي

١

رسائل
الشريف المرتضى

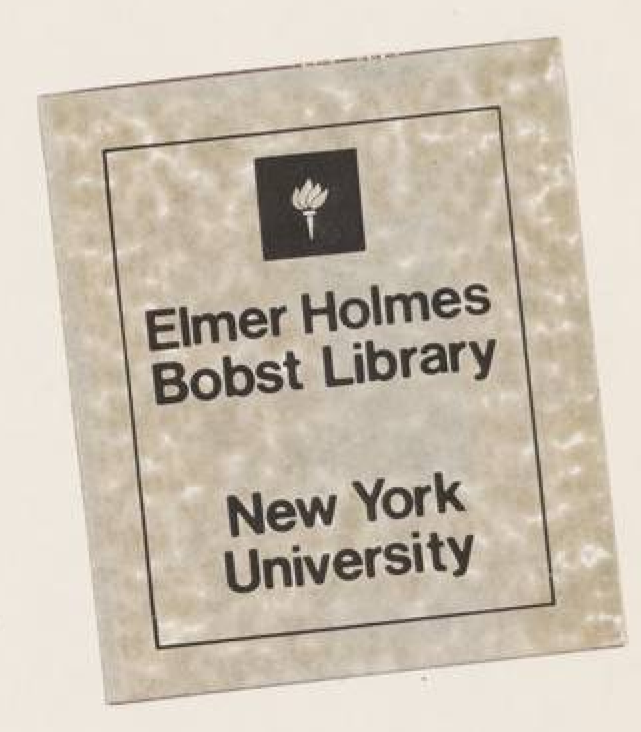
تحقيق

السيد احمد الحسيني

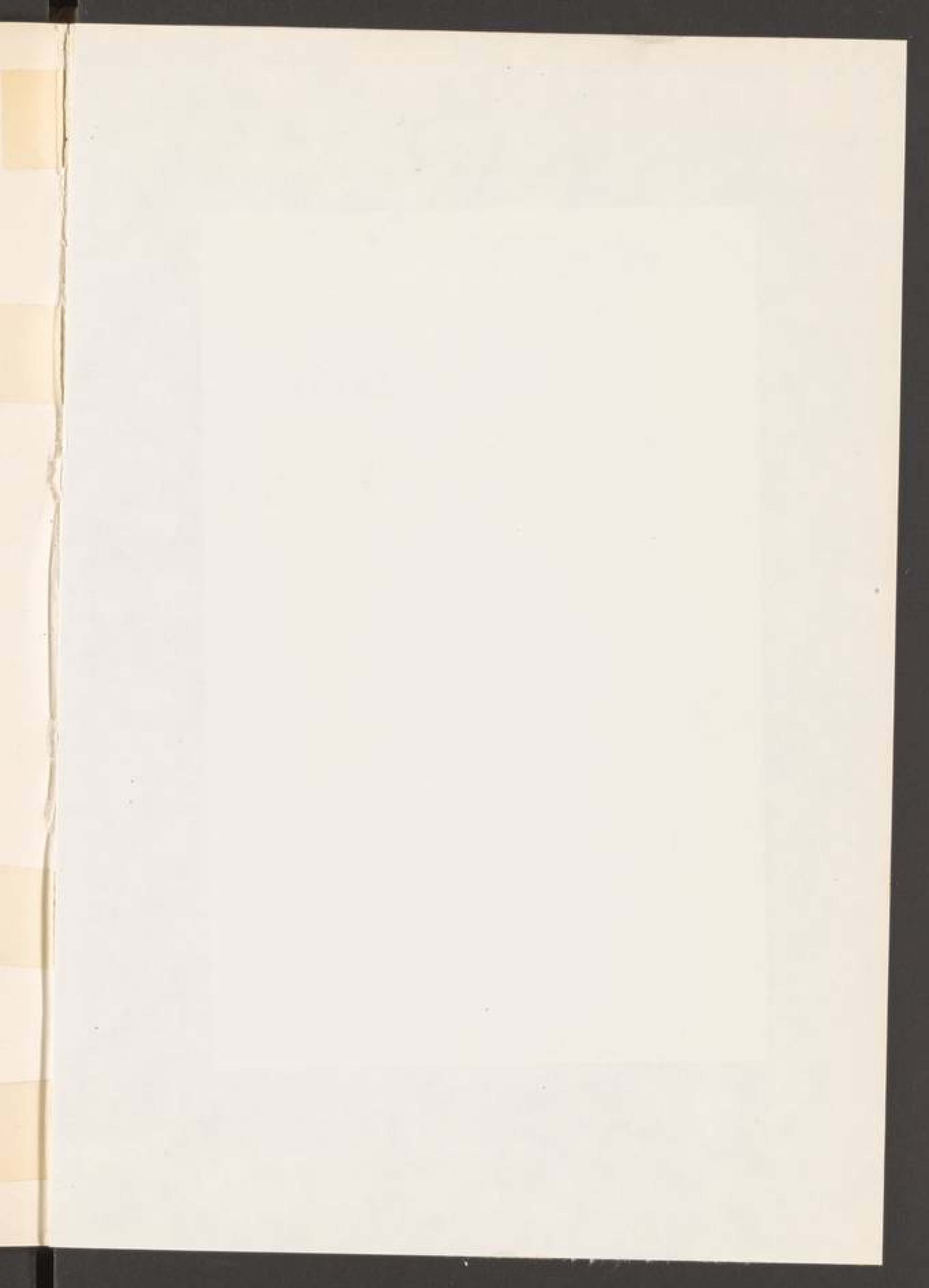
منشورات
مكتبة الشريف المرتضى العامة
الكاظمية — العراق

المجموعة الأولى









رسائل الشريف المرتضى

(المجموعة الأولى)

مطبعة الآداب ـ النجف

al-Sharīf al-Murtaḍá, ʻAlam al-Hudá ʻAlī ibn al-Ḥusayn

من التراث الاسلامي

١

[Rasā'il al-Sharīf al-Murtaḍá]

رسائل الشريف المرتضى

تحقيق

السيد أحمد الحسيني

المجموعة الأولى v.1

منشورات
مكتبة الشريف المرتضى العامة
الكاظمية - العراق

الطبعة الأولى – ١٣٨٦ هـ

طبع من ثلث

الوجيه الكبير المغفور له الحاج السيد محمد تقي السبزواري

مع القارىء الكريم

نعتز أن نقدم الى الملأ العلمي باكورة عملنا الثقافي (رسائل الشريف المرتضى) أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي العلوي المتوفى سنة ٤٣٦ هج بهذه الحلة القشيبة والتي لم نأل جهداً في توفير شروط إصدار المطبوعات الحديثة فيها من الورق الجيد والطباعة الأنيقة وحسن الإخراج وغيرها ممايجب أن يتوفر من الوسائل لإحياء التراث الإسلامى الخالد وتحبيبه إلى قلوب القارئين الأفاضل .

ونحن إذ نقدم هذا المجهود نتقدم بشكرنا إلى الأساتذة العلماء والاخوان الوجهاء الذين ساعدونا معنوياً ومادياً ، ونسأل الله تعالى أن يكون عوناً لنا ولهم ويأخذ بأيدي الجميع . . .

إدارة

مكتبة الشريف المرتضى العامة

الشريف المرتضى في سطور

• ولد الشريف المرتضى علم الهدى ابو القاسم الحسين بن علي الموسوي العلوي في شهر رجب سنة ٣٥٥ هج ببغداد .

• نشأ في أسرة تقلبت في شتى المناصب الدنيوية بالإضافة الى مكانتها العلمية السامية ومنزلتها الاجتماعية الرفيعة .

• تتلمذ على عظماء عصره أمثال الشيخ المفيـد وابن نباتـة السعدي والمرزباني وابي علي الفارسي النحوي والتلعكبري وغيرهم .

• أنفق كثيراً من أمواله في سبيل نشر العلم وإعلاء كلمـة الإسلام فأجرى الجرايات الشهرية لتلاميذه ومن كان يتوسم فيهم النبوغ العلمي والفكري.

• تلمذ على يديه جماعة كبيرة من شيوخ العلم أمثال الشيخ الطوسي وسلاّر وأبي الصلاح والقاضي ابن البراج والكراجكي والدوريستي والصهرشتي والبصروي الشاعر والتباني المتكلم والقاضى عبد العزيز الطرابلسي وابن المحسّن التنوخي والحلواني وأبي يعلى الجعفري وابى الفرج البيهقي وغيرهم .

• كان مثرياً بالغ الثراء ، كمـا انه كان يجود في مناسبات مختلفة بعطايا وهبات كبيرة .

• له مناظرات كتبية وشفوية تـدل على علومه الواسعة وإمكاناته الكثيرة واطلاعه الوافر في شتى المعارف والفنون الشائعة في عصره .

• ألف في العلوم الإسلامية كتباً كثيرة تقرب من ثمانين كتاباً ورسالة

من مختصر ومطول طبع بعضها ولا يزال المعظم منها غير مطبوع .

• من مؤلفاته المطبوعة « الأمالي » و « الشافي في الإمامة » و « طيف الخيال » و « الشهاب في الشيب والشباب » و « تنزيه الأنبياء » و « الإنتصار » و « ديوان شعره » و « الفصول المختارة » و « المقنع في الغيبة » و « الأصول الإعتقادية » و « أحكام أهل الآخرة » .

• توفي في شهر ربيع الأول لخمس بقين منه سنة ٤٣٦ هج ودفن حيث مرقده الآن والذي أصبح مطافاً يتبرك بزيارته الوافدون عليه من كل صوب وحدب .

بين يدى المجموعة

رجعنا في تحقيق رسائل الشريف المرتضى الى المجاميع والنسخ التالية :

١ – مجموعة الشيخ آغا بزرك الطهراني ، وهي في مكتبته العامة المشهورة بـ « مكتبة صاحب الذريعة العامة » في النجف الأشرف ط ٢٠ سم ع ١٥ سم ، وهي كما مايلي :

تحتوي هذه المجموعة على « إنقاذ البشر من الجبر والقدر » و « مجموعة من كلام السيد الأجل المرتضى علم الهدى في فنون من علم الكلام » و « مناظرة أبي العلاء المعري مع الشريف المرتضى » و « جوابات المسائل الثانية الواردة من الموصل » و « جوابات المسائل الثالثة الواردة من الموصل » و « جوابات مسائل أهل ميافارقين » و « جواب ماسأل عنه الشيخ أبو عبدالله محمد بن عبدالملك التبان » و « أجوبة المسائل الواردة من بلد الري » و « المسائل الرسية » و « اجوبة المسائل الرسية الواردة ثانياً » و « جواب المسائل الطرابلسيات الثانية الواردة من الشيخ أبي الفضل ابراهيم ابن الحسن الأباني » و « جواب المسائل الطرابلسيات الثالثة » و « أجوبة المسائل المتفرقة » و « رسالة في الرد على أصحاب العدد » و « مسألة في تفضيل الأنبياء على الملائكة » و « مسألة اخرى في المنع عن تفضيل الملائكة على الأنبياء » و « مسألة اخرى من انشائه واملائه في المتولي لغسل الامام » و « مقدمة في الأصول » و « من املاء الشريف المرتضى علم الهدى في إبطال العمل بأخبار الآحاد » و « مجموعة المسائل المتفرقة » و « كتاب المقنع

في الغيبة » و « كتاب جمل العلم والعمل » و « مسألة وجيزة فى الغيبة » و « مسألة في بيان احكام اهل الآخرة » و « مسألة في الاعتراض على من بثبت حدوث الأجسام من الجواهر لأصحاب الهيولى » .

وتتقدم هذه المجموعة أوراق مختلفة الأحجام ليست من أصل المجموعة فيها : « مسألة عن السبب في نكاح امير المؤمنين عليه السلام ابنته فلاناً » و « الإبانة عن مذهب أهل العدل » للصاحب بن عباد .

كما أن في آخر المجموعة ايضاً اوراقاً بمختلف الأحجام فيها : « مسألة في طرق الاستدلال في المسائل الخلافية على الخصوم » و « مسألة في أن عدم الدليل دليل العدم » و « مسألة في زيادة الباء وعدمها » و « الولاية عن الجائر » و « كتاب العروس » لأبي محمد جعفر بن أحمد بن علي القمي ، وفوائد مختلفة فى الصحاح الستة للعامة والأئمة الأربعة للعامة وترجمة الآبي والآمدي وشاه محمد بن محمد الشيرازي ورموز كتاب بحار الأنوار وقطعة من تفسير سورة البقرة وسؤالات المأمون عن الرضا عليه السلام .

وتختلف خطوط وتواريخ وعدد اسطر الصحائف في المجموعة إختلافاً كثيراً جداً ، كما يلاحظ في الصحائف المصورة منها .

وهذه المجموعة كلها بخط سماحة الحجة الامام الشيخ آغا بزرك الطهراني ، وتمتاز بالدقة في الاستنساخ والامانة ، حتى أن في بعض الكلمات كان الشيخ يرى عدم صحتها فكتب صحيحها في الهامش مع وضع حرف « ظ » الى جنبها ، كما انه اشار الى البياضات التي كانت في الأصول التي نقل منها ، وقد عين مقدار البياض فى كل مكان بأنه مقدار كذاصفحة أو كذا سطر أو كذا كلمة ، وفى الهامش أيضا كثير من البلاغات بعبارات مختلفة كتبها الشيخ بخطه .

ونرمز الى هذه المجموعة بحرف « أ » .

٢ – مجموعة فى مكتبة آية الله الحكيم العامة فيالنجف الأشرف ، وهي برقم (٣٢) مخطوطات ط ٣٠ سم ع ٢٠ سم ، وفيها من الكتب والرسائل ما يلي :

« الوسيــلة » لابن حمزة ، و « الكافي » لأبي الصلاح الحلبي ، و « الانتصار » للشريف المرتضى ، و « الناصريات » له أيضا ، و « احكام أهل الآخرة » له أيضا ، و « شرح الجمل » لابن البراج ، و « جواهر الفقه » له أيضاً .

وهذه المجموعة بخط عيسى بن الشيخ سعد الحويزى كتبها خلال سنة ١٢٣٤ ﻫ ، ويظهر أن كاتبها لم يكن من العلماء إذ لاتخــلو من اغــلاط وتحريفات كثيرة ، ولكنها مع هذا أفادتنا في مواضع كثــيرة عند مقابلة النصوص ومراجعتها .

ونرمز الى هذه المجموعة بحرف « ب » .

وطبع بعض هذه الرسائل فى أماكن وتواريخ مختلفة ، واستعنا ببعض هذه المطبوعات في مقابلة وتحقيق النصوص ، وقد أشرنا إلى محل وتاريخ الطبع فى أول كل رسالة مطبوعة حسب مااطلعنا عليه .



بسم الله الرحمن الرحيم

جوابات المسائل [illegible] الواردة من الموصل [illegible] الإمام

العالم الرباني المحقق السيد الشريف المرتضى علم الهدى ذي المجدين أبي القاسم

علي بن الحسين الموسوي قدس الله روحه ونور ضريحه

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

صفحة من نسخة « أ »

١٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]

صفحة اخرى من نسخة « أ »

مجموعة المسائل المتفرقة للسيد الاجل علم الهدى علي بن الحسين الموسوي الملقب بالسيد المرتضى قده

بسم الله الرحمن الرحيم

في شعبان سنة خمس عشرة واربعمائة في دار ابيه الطاهر نضر الله وجهه بباب المحول جوابا عن مسئلة
وردت من خراسان فقال الشيعة الامامية تنكر المسح على الخفين وتبدع فاعله وتخطئه وخالف
فقهاء العامة في ذلك واجازوا المسح على الخفين وفرقوا رخصة المقيم والمسافر الا ما روي عن مالك
فانه قال يبطل التوقيت في مسح الخفين ولا يضرب له غاية وقد حكي عن بعض اصحابنا انه كان
يضعف المسح على الخفين وعلى الجملة والذي يدل على ما نذهب اليه في بطلان المسح على الخفين قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وامسحوا
برؤسكم وارجلكم الى الكعبين فامر بغسل ومسح اعضاء مخصوصة باسماء لها خاصة وقد علمنا
ان الخف لا يسمى رجلا في لغة ولا عرف ولا شرع فيجب ان يكون الماسح عليه غير متطهر ولا ممتثل
لحكم الاية لان الاية امرة بمسح ما يسمى رجلا والخف لا يستحق هذه التسمية فان قيل قد يسمى
الخف رجلا في بعض المواضع يقولون وطئته برجلي وان كان فيها خف قلنا هذا مجاز والمجاز
لا يقاس عليه ولا يترك الكتاب له والكلام محمول على حقيقته وظاهره الى ان تخرج عنه ضرورة
صارفة وبعد فيجوز ان يريدوا بقولهم وطئته برجلي اني اعتمدت بها عليه وافضى الى ذلك
الجسم الذي انه موطوء والاعتماد بالرجل التي عليها خف انما يتعدى من الرجل بالحقيقة
الى الخف والى ما جاوره وباشره فان قيل من اين لكم توجه هذه الاية الى كل محدث
وما تنكرون ان يكون خاصة في غير لابس الخف وان يكون لابس الخف خارجا عنها قلنا
قد اجمع المسلمون على ان اية الطهارة متوجهة الى كل محدث يجد الماء ولا يتعذر عليه استعماله
ولا فرق في ذلك بين لابس الخف وغيره على ان جعلها خاصة لا بد له من ترك الظاهر لانه
تعالى قال يا ايها الذين امنوا فعم بخطابه جميع المؤمنين ولابس الخف من المحدثين يتناوله
هذا الاسم ويدل ايضا على ذلك ان النبي صلعم توضأ مرة مرة وطهر رجليه اما بالمسح على روايتنا
او بالغسل على روايتهم وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به وقد علمنا ان المسح على
الخفين مخالف لذلك الوضوء الذي بينه النبي صلعم وقال بانه لا يقبل الصلوة الا به فليس
لهم ان يقولوا ان حكم لابس الخف فيما ذكرتم حكم المتيمم كما ان المتيمم تقبل صلوته وان لم يفعل
ذلك الوضوء الذي فعله النبي صلعم وقال ان الصلوة لا تقبل الا به كذلك ماسح الخف
قلنا ان النبي صلعم اشار الى وضوئه بالماء له كيفية وقع على اعضاء مخصوصة فتبين ان الصلوة

صفحة ثالثة من نسخة « أ »

من غير ان يشتهيا في اللذات والراحة في الجنة على الوجه الذي اعتقده في الدنيا فلم يبق بعد ذلك الا انهم ملجؤون الى الامتناع

من القبيح لا لاغراض تعود عليهم واما ما حكي عن ابي الهذيل انهم [illegible] ان يكونوا مضطرين الى افعالهم كانت عليهم غيظا

[illegible] من حيث تكلفوا الافعال [illegible] [illegible] ذلك [illegible] [illegible] من الثواب [illegible] الذي

يفعل اللذة فيهم كيف يكونون مضطرين لا مختارين وان [illegible] [illegible] الذات باختيارهم [illegible] اكمل اللذة

واقوى للنفس واما الكلام في الافعال فهي موقوفة عنهم لا انهم يتناولون ما يشتهون على وجه لا كلفة فيه ولا

تعب ولا نصب   فهذا معنى كون اهل الثواب غير مضطرين فاما القول في اهل العقاب واهل الموقف

اما اهل العقاب فكونهم مختارين لافعالهم اشد [illegible] في [illegible] [illegible] لانهم اذا لم يمكنوا

مع كونهم مختارين ان يدفعوا ما نزل بهم من العذاب كان ذلك اقوى لحسرتهم وازيد في غمهم واما اهل الموقف

فبالاجماع يعلم ان حالهم كحال اهل الجنة واهل النار ولا فرق [illegible] بين الجميع   فان قلتم انهم

ملجؤون الى ان لا يفعلوا القبيح [illegible] ذلك كونهم مختارين لافعالهم على بعض الوجوه   انما يلجؤون الى ان لا

يفعلوا القبيح خاصة [illegible] الالجاء انما يكون فيما لا يفعلونه فاما ما يفعلونه فهم فيه مخيرون لانهم يؤثرون

فعلا على غيره وينتقلون من حال الى اخرى [illegible] في افعالهم شيء من القبيح وليس يمتنع ان يكون الملجأ

من وجه مخيرا من آخر [illegible] وجوه اخر [illegible] القبيح [illegible] [illegible] الجهات المختلفة

والطرق المتغايرة فالتخيير ثابت وان كان ملجأ من بعض الوجوه [illegible] [illegible] [illegible]

الى ان لا يفعلوا القبيح لانهم مستغنون [illegible] بالحسن فلا [illegible] ولا حسن في الالجاء الى الافعال القبيحة وهذه

جملة كافية لمن اطلع عليها

والله الموفق

للصواب

[illegible]

صفحة من نسخة « ب »

-١-

تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام

حول الرسالة :

هذه الرسالة موجودة في مجموعة الشيخ آغا بزرك الطهراني ص ٢٢٩ – ٢٣٢ بعنوان « مسألة فى تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام من إملاء السيد الشريف المرتضى علم الهدى – قده » ، وكتب فى آخرها « تمت المسألة ولله الحمد والمنة » .

وطبعت أيضاً في أمالي الشريف المرتضى ٢ / ٣٣٣ – ٣٣٩ ، بعنوان « مسألة فى تفضيل الانبياء على الملائكة عليهم السلام » ، ونشير الى هذه النسخة في التعاليق بعنوان « الأمالي » .

بسم الله الرحمن الرحيم

[الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم تسليماً] [1].

اعلم أنه لاطريق من جهة العقل إلى القطع بفضل مكلّف على آخر ، لأن الفضل المراعى في هذا الباب هو زيادة استحقاق الثواب ، ولاسبيل الى معرفة مقادير الثواب من ظواهر فعل الطاعات ، لأن الطاعتين قد تتساوى فى ظاهر الأمر حالها [2] وإن زاد ثواب واحدة [3] على الاخرى زيادة عظيمة .

وإذا لم يكن للعقل فى ذلك مجال فالمرجع فيه الى السمع ، فإن دلّ سمعٌ مقطوع به من ذلك على شيء عُوّل عليه ، وإلا كان الواجبُ التوقف عنه والشك فيه .

وليس في القرآن ولا في سمع مقطوع على صحته [4] مايدلّ على فضل نبي على مَلَكٍ ولا مَلَكٍ على نبي ، وسنبين أن آية واحدة مما يتعلّق [5]

(١) الزيادة من الأمالي .

(٢) كذا في الأمالي ، وفي أ « وان الطاعتين قد يتساوى ... حال بقبا » .

(٣) في أ : واحد .

(٤) في الأمالي : على صحة .

(٥) فى أ : أن واحدة مما يعلق به .

به في تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم السلام يمكن أن يُستدل بها على ضرب من الترتيب نذكره .

والمعتمد في القطع على أن الأنبياء أفضل من الملائكة إجماع الشيعة الإمامية [على ذلك] [1] ، لأنهم لايختلفون في هذا ، بل يزيدون عليه ويذهبون إلى أن الأئمة عليهم السلام أفضل من الملائكة . وإجماعهم حجة لأن المعصوم في جملتهم .

وقد بينا في مواضع من كتبنا كيفية الإستدلال بهذه الطريقة ورتبناه واجبنا عن كل سؤال يسأل عنه [فيها] [2] ، وبيَّنا كيف الطريق مع غيبة الإمام الى العلم بمذاهبه وأقواله وشرحنا ذلك ، فلا معنى للتشاغل به هاهنا

ويمكن أن يُستدل على ذلك بأمره تعالى الملائكة [3] بالسجود لآدم عليه السلام ، وأنه يقتضي تعظيمه عليهم وتقديمه وإكرامه . وإذا كان المفضول لا يجوز تعظيمه وتقديمه على الفاضل - علمنا أن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة .

وكل من قال إن آدم عليه السلام أفضل من الملائكة ذهب إلى أن جميع الأنبياء أفضل من جميع الملائكة [4] ، ولا أحد من الأمة فرّق [5] بين الأمرين .

فإن قيل : من أين أنه أمرهم بالسجود [له] [6] على وجه التعظيم والتقديم ؟

قلنا : لايخلو تعبدهم له بالسجود من أن يكون على سبيل القبلة

---

(١) الزيادة من الأمالي .
(٢) الزيادة من الأمالي .
(٣) في الأمالي : للملائكة :
(٤) في أ : جماعة الملائكة :
(٥) في الأمالي : فصل :
(٦) الزيادة من أ .

والجهة من غير أن يُقترن به تعظيم وتقديم أو يكون على ماذكرناه ، فإن كان الأول لم يجز [1] أنفة إبليس من السجود وتكبره عنه وقوله : « أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ » [2] وقوله: « أنا خير منه خلقتني من نارٍ وخلقته من طين » [3] .

والقرآن كله ناطق بأن امتناع إبليس من السجود إنما هو لاعتقاده التفضيل به والتكرمة ، ولو لم يكن الامر على هذا لوجب أن يردّ الله تعالى عليه [4] ويُعلمه أنه ما أمره بالسجود على جهة تعظيمه له [عليه] [5] ولا تفضيله ، بل على الوجه الآخر الذي لاحظّ للتفضيل [والتعظيم] [6] فيه وما جاز إغفال ذلك ، وهو سبب معصيــة إبليس وضلالته ، فلما لم يقع ذلك دلّ على أن الامر بالسجود لم يكن إلا على جهة التفضيل والتعظيم ، وكيف [يقع] [7] شك في أن الامر على ماذكرناه وكل من أراد [8] تعظيم آدم عليه السلام ووصفه بما يقتضي الفخر والشرف نعته بإسجاد الملائكة ، وجعل ذلك من أعظم فضائله ، وهذا مما لاشبهة فيه .

فأما اعتماد بعض أصحابنا في تفضيل الأنبياء على الملائكة على أن المشقة في طاعات [9] الأنبياء عليهم السلام اكثر وأوفر ، من حيث كانت لهم شهوات في القبائح ونفار عن [فعل] [10] الواجبات ، فليس بمعتمد ، لأنا نقطع على أن مشاق الأنبياء أعظم من مشاق الملائكة في التكليف ، والشك في

---

(١) في أ : لم يجب .
(٢) سورة الأسراء : ٦٢ .
(٣) سورة الاعراف : ١٢ .
(٤) في الأمالي : عنه .
(٥) الزيادة من أ .
(٦) الزيادة من أ .
(٧) الزيادة من الأمالي .
(٨) في الأمالي : وكل نبي أراد .
(٩) في الأمالي : في طاعة .
(١٠) الزيادة من أ .

مثل ذلك واجب ، وليس كل شيء لم يظهر لنا ثبوته وجب القطع على انتفائـــه .

ونحن نعلم على الجملة أن الملائكة إذا كانوا مكلفين فلا بد من ان تكون [1] عليهم مشاق في تكليفهم ، ولولا ذلك ما استحقوا ثوابـــاً على طاعاتهم [2] ، والتكليف إنما يحسن في كل مكلف تعريضاً للثواب ، ولا يكون التكليف عليهم شاقاً إلا ويكون لهم شهوات فـــيما حظر عليهم ونفار عما أوجب [عليهم] . [3]

وإذا كان الأمر على هذا فمن أين يعلم أن مشاق الأنبياء عليهم السلام اكثر من مشاق الملائكة ؟ وإذا كانت المشقة عامة لتكليف الأمة [4] ، ولا طـــريق إلى القطع على زيادتهـــا في تكليف بعض وتفضيلها على تكليف آخرين [5] ، فالواجب التوقف والشك .

ونحن الآن نذكر شبه [6] من فضّل الملائكة على الأنبياء عليهم السلام ونتكلم عليها بعون الله تعالى :

فمما تعلقوا به فى ذلك قوله تعالى حكاية عن إبليس مخاطباً لآدم وحواء عليهما السلام : « مانهاكما ربكما عن هـــذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » [7] فرغبهما بالتناول من الشجرة [ليكونا] [8] في منزلة الملائـــكة حتى تناولا وعصيا ، وليس يجوز أن يرغب عاقل في أن يكون على منزلة هي دون منزلته ، حتى يحمله ذلك على خلاف الله تعالى

(١) فى أ : فلابد أن يكون.
(٢) في أ : طاعتهم .
(٣) الزيادة من أ .
(٤) في أ : لتكليف الحاجة .
(٥) في أ : على تكليف آخر .
(٦) في أ : شبهة .
(٧) سورة الأعراف : ٢٠ .
(٨) الزيادة من الامالي .

ومعصيته ، وهذا يقتضي فضلَ الملائكة على الأنبياء .

وتعلقوا أيضا بقوله تعالى : « لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون » [1] وتأخير ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم [2] ، لأن العادة إنما جرت بأن يقال : « لن يستنكف الوزير أن يفعل كذا ولا الخليفة » ، فيقدّم الأدون ويؤخر الأعظم ، ولم يجز أن يقول : « لن يستنكف الامير أن يفعل [كذا] [3] ولا الحارس » وهذا يقتضي تفضيل [4] الملائكة على الأنبياء .

وتعلقوا بقوله تعالى : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » [5] قالوا : وليس بعد بني آدم مخلوق يستعمل في الخبر عنه لفظة « مَن » التي لاتستعمل إلا في العقلاء إلا الجن والملائكة ، فلما لم يقل « وفضلناهم على من [خلقنا] [6] » بل قال « على كثير ممن خلقنا » عُلم أنه إنما أخرج الملائكة عمن فضّل بنى آدم عليه ، لأنه لاخلاف فى أن بني آدم أفضل من الجن ، واذا كان وضع الخطاب يقتضي مخلوقاً لم يُفضل بنو آدم عليه [7] فلا شبهة في أنهم الملائكة .

وتعلقوا بقوله تعالى : « ولا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك » [8] فلولا أن حال الملائكة أفضل من حال النبي لما قال ذلك .

---

(١) سورة النساء : ١٧٢ .
(٢) فى أ : يقضى بفضلهم .
(٣) الزيادة من الأمالي .
(٤) في أ : فضل .
(٥) سورة الأسراء : ٧٠ .
(٦) الزيادة من أ .
(٧) في الأمالي : عليهم .
(٨) سورة الانعام : ٥٠ .

فيقال لهم فيما تعلقوا به أولاً : لم زعمتم أن قوله تعالى : « إلا أن تكونا ملكين » معناه أن تصيرا وتنقلبا [1] إلى صفة الملائكة ، فإنهذه اللفظة ليست صريحة لما ذكرتم ، بل أحسن الأحوال أن تكون محتملة له .

وما انكرتم أن يكون المعنى أن المنهى عن تناول الشجرة غيركما وأن النهي يختص الملائكة والخالدين دونكما . ويجري ذلك مجرى قول أحدنا لغيره « ما نُهيتَ أنت عن كذا إلا أن تكون فلاناً » وإنما يعني أن المنهي هو فلان دونك ، ولم يُرد إلا أن تنقلب فتصير فلاناً . ولما كان غرض إبليس إلقاء [2] الشبهة لهما فمن أوكد الشبه إيهاما [3] أنهما لم يُنهيا وإنما المنهي غيرهما .

ومن وكيد مايفسد به هذه الشبه أن يقال : ما أنكرتم أن يكونا رغبا في أن ينقلبا إلى صفة الملائكة وخلقتهم [4] كما رغبهما إبليس فى ذلك ، ولا تدل هذه الرغبة على أن الملائكة أفضل منهما ، لان المنقلب [5] إلى خلقة غيره لايجب أن يكون مثل ثوابه له ، فإن الثواب لاينقلب ولايتغير بانقلاب الصور والخلق ، فإنه إنما يُستحق على الاعمال دون الهيئات .

وغير ممتنع أن [6] يكونا رغبا فى أن يصيرا على هيئة الملائكة وصورها ، وليس ذلك برغبة في الثواب ولا الفضل ، فإن الثواب لايتبع الهيئات والصور . ألا ترى أنهما رغبا في أن يكونا من الخالدين ، وليس الخلود مما يقتضي مزية في ثواب ولا فضلاً فيه ، وإنما هو نفع عاجل ، وكذلك لا يمتنع أن [7] تكون

---

(١) في أ : وتبدلا .
(٢) في الأمالي : إيقاع .
(٣) في أ : فمن أوكد الشبهة إيهامهما .
(٤) في الأمالي : وخلقهم .
(٥) في الأمالي : لأنه بالتقلب .
(٦-٧) في أ : في أن .

الرغبة منها في أن يصيرا [1] ملكين إنما كانت على هذا الوجه .

ويمكن أن يقال للمعتزلة خاصة وكلّ من أجاز على الأنبياء الصغائر : ما أنكرتم أن يكونا اعتقدا أن الملك أفضل من النبي وغلطا في ذلك وكان منها ذنباً صغيراً ، لأن الصغائر تجوز [2] عندكم على الانبياء ، فمن اين لكم إذا اعتقدا أن الملائكة أفضل من الانبياء ورغبا في ذلك [3] ان الامر على ما اعتقداه مع تجويزكم عليهم الذنوب .

وليس لهم أن يقولوا : إن الصغائر إنما تدخل [4] في أفعال الجوارح دون القلوب ، لأن ذلك تحكّم بغير برهان ، وليس يمتنع على أصولهم أن تدخل الصغائر في أفعال القلوب والجوارح معاً ، لأن حدّ الصغير عندهم « ماانقص عقابه عن ثواب طاعات فاعله » ، وليس يمتنع معنى هذا الحدّ في أفعال القلوب كما لم يمتنع [5] في أفعال الجوارح .

ويقال لهم فيما تعلقوا به ثانياً : ما أنكرتم أن يكون هذا القول انما يُوجّه [6] إلى قوم اعتقدوا أن الملائكة أفضل من الأنبياء ، فأخرج الكلام على حسب اعتقادهم ، وأخر ذكر الملائكة لذلك . ويجري هذا القول مجرى من قال [منا] [7] لغيره : « لن يستنكف أبي أن يفعل كذا ولا أبوك » ، وإن كان القائل يعتقد أن أباه أفضل ، وإنما أخرج الكلام على [حسب] [8] اعتقاد المخاطب لاالمخاطب .

ومما يجوز أن يقال أيضاً : انه لاتفاوت في الفضل بين الانبياء والملائكة

---

(١) في أ : تصيرا . (٢) في أ : يجوزا .
(٣) في أ : بذلك . (٤) في أ : إنما الصغير إنما يدخل
(٥) في أ : كما لم يُمنع . (٦) في الأمالي : إنما توجه .
(٧) الزيادة من الامالي . (٨) الزيادة من الأمالي .

عليهم السلام وإن ذهبنا الى أن الانبياء أفضل منهم ، ومع التقارب [1] والتداني يحسن أن يؤخَّر ذكر الافضل الذي لاتفاوت بينه وبين غيره في الفضل، وإنما مع التفاوت [2] لايحسن ذلك . ألا ترى أنه يحسن أن يقول القائل : « مايستنكف الامير فلان من كذا ولا الامير فلان [من كذا] » [3] ، وإن كانا [4] متساويين متناظرين أو متقاربين ، ولا يحسن أن يقول : « مايستنكف الامير من كذا ولا الحارس » لاجل التفاوت .

وأقوى من هذا أن يقال : إنما أخر ذكر الملائكة عليهم السلام عن ذكر المسيح لأن جميع الملائكة اكثر ثواباً لامحالة من المسيح منفرداً ، وهذا لايقتضي أن كلّ واحد منهم أفضل من المسيح ، وإنما الخلاف فى ذلك .

ويقال لهم فيما تعلقوا به ثالثاً : ما أنكرتم أن يكون المراد بقوله تعالى : « على كثير ممن خلقنا تفضيلا » أنا فضلناهم على من خلقنا وهم كثير ، ولم يرد التبعيض . ويجري ذلك مجرى قوله تعالى : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا [5] » والمعنى [6] لاتشتروا بها ثمناً [قليلا] [7] وكل ثمن تأخذونه عنها قليل ، ولم يرد التخصيص والمنع من الثمن القليل خاصةً .

ومثله قول الشاعر :

من أناس ليس فى أخلاقهم عاجلُ الفحش ولا سوء الجزع [8]

---

(١) فى أ : التفاوت .
(٢) في الامالي : التفاوت والتداني .
(٣) الزيادة من الامالي .
(٤) في الامالي : وإن كان .
(٥) سورة البقرة : ٤١ .
(٦) فى الامالي : معناه .
(٧) الزيادة من الامالي .
(٨) لسويد بن أبي كاهل اليشكري - المفضليات ص ١٩١ ــ ٢٠٢ .

وإنما أراد نفيَ الفحش كلّه عن أخلاقهم وإن وصفه بالعاجل ، ونفيَ الجزع عنهم وإن وصفه بالسوء .

وهذا من غريب البلاغة ودقيقها ، ونظائره في الشعر والكلام الفصيح لاتحصر . [1]

وقد كنا أملينا في تأويل هذه الآية كلاماً مفرداً استقصيناه [2] وشرحنا هذا الوجه واكثرنا من ذكر أمثلته .

ووجه آخر في تأويل هذه الآية ، وهو أنه غير ممتنع أن يكون جميع الملائكة عليهم السلام أفضل من جميع بني آدم ، وإن كان في جملة بني آدم من الانبياء عليهم السلام من يفضل كل واحد [منهم] [3] على كل واحد من الملائكة ، لأن الخلاف إنما هو في فضل كل بني آدم [4] على كل ملك . وغير ممتنع أن يكون جمع الملائكة فضلاء يستحق كل واحد منهم الجزيل الكثير [5] من الثواب ، فيزيد ثواب جميعهم على ثواب جميع بني آدم ، لان الافاضل من بني آدم أقلّ عـدداً ، وإن كان في بني آدم آحادٌ كلٌ منهم أفضل من كل واحد من الملائكة .

ووجـه آخر مما يمكن أن يقال في هذه الآية أيضاً : إن مفهوم الآية إذا تُؤُمِّلَتْ يقتضي أنه تعالى لم يرد الفضل الذي هو زيادة الثواب، وإنما أراد النعم والمنافع الدنيوية . ألا ترى قوله تعالى : « ولقد كرمنا بني آدم » ، والكرامة إنما هي الترفيـه وما يجري مجـراه . ثم قال : « وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات » [6] ، ولا شبهة في أن

---

(١) في أ : لايحصى . (٢) في أ : أسقطناه .
(٣) الزيادة من الامالي . (٤) في أ : كل نبي .
(٥) في الامالي : الاكثر . (٦) سورة الاسراء : ٧٠ .

الحمل لهم في البر والبحر ورزق الطيبات خارج عما يستحق به الثواب ، ويقتضي التفضيل الذي وقع الخلاف فيه [1] ، فيجب أن يكون ماعطف عليه من التفضيل داخلا فى هذا الباب وفي [2] هذا القبيل ، فانه أشبه من أن يراد به غير ماسياق الآية وارد به ومبني عليه . وأقل الأحوال [3] أن تكون لفظة « فضلناهم » محتملة للامرين ، فلا يجوز الإستدلال [4] بها على خلاف مانذهب اليه .

ويقال لهم فيما تعلقوا به رابعاً : لادلالة في هذه الآية على أن حال الملائكة أفضل من حال الأنبياء [5] لأن الغرض فى الكلام إنما هو نفي مالم يكن عليه ، لا التفضيل لذلك على ماهو عليه . ألا ترى أن أحدنا لوظن [به] [6] أنه على صفة [7] وليس عليها جاز أن ينفيها [8] عن نفسه بمثل هذا اللفظ وإن كان على أحوال هي أفضل من تلك الحال [9] وأرفع .

وليس يجب إذا انتفى مما تبرأ منه [10] من علم الغيب وكون خزائن الله تعالى عنده أن يكون فيه فضل أن يكون ذلك معتمداً فى كل مايقع النفي له والتبرؤ منه ، وإذا لم يكن ملكاً كما لم يكن عنده خزائن الله جاز أن ينتفي من الامرين ، من غير ملاحظة لأن حاله دون هاتين الحالتين .

ومما يوضح هذا ويزيل الإشكال فيه أنه تعالى حكى عنه في آية

---

(١) في الامالي : وقع إطلاقه فيه . (٢) في أ: ومن .
(٣) فى أ : وأحسن الاحوال . (٤) في أ : أقل الاستدلال .
(٥) في أ : من حال النبي . (٦) الزيادة من أ .
(٧) فى الامالي : على صفة الملائكة .
(٨) في أ : ينفيه . (٩) فى أ : الاحوال .
(١٠) في أ : اذا اتفق فيما تبرأ به .

أخرى: « ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً »[1] ونحن نعلم أن هذه منزلة غير جليلة وهو على كل حال[2] أرفع منها وأعلى، فما المنكر من أن يكون نفي الملكية عنه في أنه لايقتضي أن حاله دون حال الملك بمنزلة نفي هذه المنزلة.

والتعلق[3] بهذه الآية خاصةً ضعيف جداً، وفيما أوردناه كفاية [وبالله التوفيق][4]

(١) سورة هود: ٣١.

(٢) في أ: على أحوال.

(٣) في أ: والتعليق:

(٤) الزيادة من الأمالي.

-٢-

المنع عن تفضيل الملائكة على الأنبياء

حول الرسالة :

هذه الرسالة موجودة في مجموعة الشيخ آغا بزرك فى ص ٢٣٢ - ٢٣٣ بعنوان « مسألة أخرى في المنع عن تفضيل الملائكة على الانبياء من إنشاء السيد الشريف المرتضى وإملائه » .

وهي المذكورة في أدب المرتضى ص ١٥١ بعنوان « منع تفضيل الملائكة على الانبياء » ، والغريب أنه لم يذكر الرسالة السابقة التي هي موجودة ايضاً في نفس المجموعة التى استند اليها كثيراً في سرد مؤلفات المرتضى .

وهذه الرسالة غير مطبوعة فيما أظن ، وهي في الحقيقة بسط وتوسعة في الرد على الدليل الثالث من الأدلة المثبتة لتفضيل الملائكة على الانبياء عليهم السلام ، المذكورة في الرسالة التي مضى ذكرها .

والظاهر أنها هي المعنية بقول المرتضى في الرسالة السابقة ص ٢٧ : « وقد كنا أملينا في تأويل هـذه الآية كلاماً مفرداً استقصيناه وشرحنا هذا الوجه وأكثرنا من ذكر أمثلته » .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن سأل سائل مستدلاً على فضل الملائكة على الانبياء صلوات الله عليهم ، فقال : ماتنكرون [1] أن يكون قوله تعالى : « ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً » [2] ، يدل على ذلك .

ووجه الدلالة منه : أنه تعالى خبّر بأنه فضّل بني آدم على كثير ممن خلقه ، وظاهر هذا الكلام يقتضي أن في خلقه من لم يفضّل بنى آدم عليه ، وقد علمنا أن المخلوقات هم الإنس والجن والملائكة والبهائم والجمادات ومعلوم أن بني آدم أفضل من الجن والبهائم والجمادات بلا شبهة ، فيجب أن يكون مَن يجب خروجه من الكلام ممن لم يفضل بني آدم عليهم هم الملائكة عليهم السلام وإلا سقطت الفائدة .

على أن لفظة « مَن » لاتتوجه إلى البهائم والجمادات ، وإنما تختص بمن يعقل ، فليس يدخل تحتها ممن يجوز أن يفضّل الآدميون عليه إلا الملائكة والجن ، وإذا علمنا أنهم أفضل من الجن بقي الملائكة خارجين من الكلام ، وفى خروجهم دلالة على أنهم أفضل .

الجواب :

يقال له : لم زعمت أولاً أن ظاهر الكلام يقتضي أن في المخلوقات من لم يفضّل بني آدم عليــه ، فعلى ذلك بنيتَ الكلام كله ، فإنه غير صحيح ولا يُسلم .

---

(١) في الاصل : ينكرون .   (٢) سورة الاسراء : ٧٠ .

فإن قال : إن لفظة « كثير » تقتضي ذلك . قيل له : من أين قلت إنها تقتضي ما ادعيته ، ويطالب بالدلالة ، فانا لانجدها .

ثم يقال له : قد جرت عادة الفصحاء من العرب بأن يستعملوا مثل هذه اللفظة من غير إرادة للتخصيص بل مع قصد الشمول والعموم ، فيقولون : « أعطيته الكثير من مالي ، وأبحته المنيع من حريمي ، وبذلت له العريض من جاهي » ، وليس يريدون أنني أعطيته شيئاً من مالي وادخرت عنه شيئاً آخر منه ، ولا أبحته منيع حريمي ولم أبح [1] ماليس بمنعها ، ولا بذلت له عريض جاهي ومنعت ماليس بعريض . وإنما المَعْزِيُّ بذلك والقصد : انى أعطيته مالي ومن صفته أنه كثير ، [وبذلت له جاهي ومن صفته أنه عريض] [2] .

وله نظائر في القرآن كثيرة ، وفي أشعار العرب ومحاوراتها ، وهو باب معروف لايَذهب على من أنِسَ بمعرفة لحن كلامهم ، ونحن نذكر منه طرفاً لأن استيعاب الجميع يطول :

فما يجري هذا المجرى قوله تعالى : « الله الذي رفع السماوات بغير عَمَدٍ ترونها » [3] ولم يرد أن لها عمداً لاترونها [4] بل أراد نفي العمد على كل حال .

وقال تعالى : « ومن يدعُ مع الله إلهاً آخر لابرهان له به » [5] ، ولم يرد أن لأحد برهاناً في دعاء الله مع الله تعالى ، بل أراد أن من فعل

---

(١) في الأصل : ولم ابحه .

(٢) الزيادة من الهامش ، وبعدها وضع حرف ظ .

(٣) سورة الرعد : ٢ .   (٤) في الأصل : لاتروه .

(٥) سورة المؤمنون : ١١٧ .

ذلك فقد فعل مالا برهان عليه .

وقوله تعالى : « فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق »[1] ولم يُرد تعالى أن فيمن يُقتل من الأنبياء من يُقتل بحق ، بل المعنى ماذكرناه وبيناه .

ومثله قوله تعالى : « ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلا »[2] ولم ، يُرد النهي عن الثمن القليل دون الكثير ، بل نهى تعالى عن أخذ جميع الأثمان عنها والأبدال ، ووصف مايؤخذ عنها بالقلة .

وقال سويد بن أبي كاهل[3] :

من أناسٍ ليس في أخلاقهم عاجلُ الفحش ولا سوء الجزع[4]

ولم يُثبت بهذا الكلام في أخلاقهم فحشاً أصلاً وجزعاً غير سيء ، وإنما نفى الفحش والجزع على كل حال ، ولولا ذلك لكان هاجياً لهم ولم يكن مادحاً .

وقال الفرزدق[5] :

---

(١) سورة النساء : ١٥٥ . (٢) سورة البقرة : ٤١ .

(٣) سويد بن أبي كاهل (واسمه غطيف أو شبيب) بن حارثة بن حسل الذبياني الكناني اليشكري ، أبو سعد شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، توفي سنة ستين هجرية (الأعلام للزركلي : ٣ / ٢١٥) .

(٤) من قصيدة فى المفضليات ص ١٩١ ـ ٢٠٢ .

(٥) همام بن غالب بن صعصعة التميمي ، أبو فراس صاحب الجرير ، قيد رجليه فلم يفك القيد حتى حفظ القرآن الكريم ، وكان من الشعراء الفحول حتى قال هو « قد علم الناس أني أفحل الشعراء » ، توفي سنة ١١٠ ، وقيل سنة ١١٢ ، وقيل سنة ١٤٤ (معاهد التنصيص : ١ / ٤٥ ـ ٥١) .

ولم تأت عيرٌ أهلَها بالذي أتت به جعفراً يوم الهضيبات عيرها [1]
أتتهم بتمر لم يكن هجـريه [2] ولا حنطة الشام المزيت خميرها [3]

فقوله « لم يكن هجرية » أي لم يحمل التمر الذي يكون كثير في هَجَر [4] ، ولم يُرد بباقي البيت أن هناك حنطة ليس في خميرها زيت ، بل أراد بها لم يحمل تمراً ولا حنطةً ، ثم وصف الحنطة بأن الزيت يجعل في خميرها .

ونظائر هذا الباب اكثر من أن تحصى .

فعلى ماذكرناه لاينكر أن يريد تعالى : إنا فضلناهم على جميع من خلقنا وهم كثير ، فجرى ذكر الكثرة على سبيل الوصف المعلَّق لاعلى وجه التخصيص ، وليس لأحد أن يخبر بقوله [5] : « فعل كذا وكذا كثير من الناس » على سبيل التخصيص دون العموم .

وقوله تعالى : « وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم » [6] وقوله تعالى : « وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون » [7] ، وذلك انا لم نقل إن هذه اللفظة في كل موضع تستعمل بمعنى واحـد ، بل الوجه في

---

(١) كذا في الديوان ، وفي الاصل : به جعفر القرم بوم الهضاب عيرها .

(٢) كذا في الأصل ، وفى الديوان : أتتهم بعير لم تكن هجرية .

(٣) ديوان الفرزدق : ١ / ٣٦٨ .

(٤) هجر مدينة ، وهي قاعدة البحرين ، وقيل ناحية البحرين كلها هجر (معجم البلدان ٥ / ٣٩٣) .

(٥) فى الأصل : بقولهم .

(٦) سورة الأنعام : ١١٩ .

(٧) سورة الروم : ٨ .

استعمالها يختلف ، وربما أريد بها التخصيص وربما أريد ماذكرناه مما تقدم ، وإنما يُرجع في ذلك إما إلى الوضع أوالى الدلالة تدل على المعنى المقصود وإنما أردنا الرد على من ادعى أنها تقتضي التخصيص لامحالة ، فدفعناه عن ذلك بما أوردناه .

وليس لأحد أن يدعي أن الظاهر من هذه اللفظة يقتضي التخصيص وإنها إذا وردت لاتقتضيه كانت مجازاً وعمل عليه بدلالة . لأن ذلك تحكّم من قائله .

وإذا عكس عليه وقيل له : بل التخصيص هو المجاز وورودها موردُ النعت والوصف هو الحقيقة ، لم يجد فصلاً .

ووجه آخر :

وهو أن الجنس إنما يكون مفضّلا على الجنس على أحد وجهين : إما بأن يكون كل عين من أعيانه أفضل من أعيان الجنس الآخر ، أو بأن يكون الفضل في أعيانه اكثر ، وليس يجوز أن يفضّل الجنس على غيره بأن يكون فيه عين واحدة أفضل من كل عين في الجنس الآخر وباقيه خال من فضل ، ويكون الجنس الآخر لكل عين منه فضلاً وإن لم يبلغ إلى فضل تلك العين التى ذكرناها ، ولهذا لايجوز أن يفضّل أهل بغدادَ على أهل الكوفة إن كان في بغداد فاضل واحد أفضل من كل واحد من أهل الكوفة وباقي أهل بغداد لافضل لهم ، حتى كان كثير من أهل الكوفة ذوي فضل وإن لم يبلغوا إلى منزلة الفاضل الذي ذكرناه .

فإذا صحت هذه المقدمة لم ينكر أن يكون جنس بني آدم [مفضولاً] [1] لأن الفضل في الملائكة عام جميعهم على مذهب اكثر الناس او لأكثرهم ،

---

(١) الزيادة منا لتتميم الكلام .

والفضل في بني آدم مخصَّص بقليل من كثير .

وعلى هذا لاينكر أن يكون الأنبياء عليهم السلام أفضل من الملائكة وإن كان جنس الملائكة أفضل من جنس بني آدم ، للمعنى الذي ذكرناه ، ولما تضمنت الآية ذكربني آدم على سبيل الجنسية وجب أن يفضَّلوا على من عدى الملائكة ، ولو ذكر الأنبياء بذكر يخصهم ممن عداهم ممن ليس بذي فضل لفضلهم على الملائكة .

وهذا واضح بحمد الله وحسن معونته وتوفيقه .

-٣-

أحكام أهل الآخرة

حول الرسالة :

إن هـذه الرسالة موجودة في مجموعة الشيخ آغا بزرك الطهراني ص ٣١١ – ٣١٥ بعنوان « مسألة في بيان أحكام أهل الآخرة من إملاء السيد المرتضى رضي الله عنه » وفي آخرها « تمت الرسائل العشرين [كذا] وتلحقها المسألة في عصمة الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم للسيد الأجل المرتضى علم الهدى - رض » .

وهي أيضاً موجودة في مجموعة مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الأشرف التي وصفناها سابقاً ورمزنا اليها بحرف « ب » ، وهي في هذه المجموعة في أربع صحائف .

وهي مذكورة في الذريعة ١/٢٩٥ بعنوان « أحكام أهل الآخرة » وقال : طبع ضمن كلمات المحققين ، وعلى هامش حاشية الرسائل لآية الله الخراساني .

وذكرت أيضاً في كتاب أدب المرتضى ص ١٤٣ ، وقال : طبعت في إيران سنة ١٣١٩ هـ على هامش كتاب درر الفرائد .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال [المرتضى] [1] رضي الله عنه :

سألت بيان أحكام أهل الآخرة في معارفهم وأحوالهم [2] ، وأنا ذاكر من [ذلك] [3] جملة وجيزة :

إعلم أن لأهل الآخرة ثلاث أحوال : حال ثواب ، وحال عقاب ، وحال أخرى للمحاسبة . ويعمهم في هذه الأحوال الثلاث سقوط التكاليف عنهم ، وان معارفهم ضرورية ، وانهم ملجأون إلى الإمتناع من القبيح وإن كانوا مختارين لأفعالهم مؤثرين لها ، وهذا هو الصحيح دون ما ذهب اليه من خالف هذه [4] الجملة .

والذي يدل على سقوط التكليف عن أهل الثواب منهم فهو أن الثواب شرطه وحقه [5] أن يكون خالصاً غير مشوب [6] ولا منغص ، ومقارنة التكليف للمثاب يخرجه عن صفته التي لابد أن يكون عليها .

فإن قيل : فهبوا أن هذا يتم في أهل الجنة الذين هم مثابون ، فمن أين زوال التكليف عن أهل النار أوعن أهل الموقف ؟ قلنا : [الجواب] [7] الصحيح عن هذا السؤال أنا إذا علمنا زوال التكليف عن أهل الجنة بالطريقة التي ذكرناها علمنا زواله عن أهل العقاب وأهل الموقف بالإجماع ، لأن أحداً من الأمة [8] لايفصل بين أحوال [أهل] [9] الآخرة في كيفية

(١) الزيادة من ب .

(٢) في ب : وأفعالهم .

(٣) الزيادة من أ .

(٤) في ب : في هذه .

(٥) في أ : شرط وصفه .

(٦) في ب : غير مسنون .

(٧) الزيادة من أ .

(٨) في أ : من الأئمة .

(٩) الزيادة من ب .

المعارف وزوال التكليف .

وهذا الوجه أولى مما يمضى في الكتب من أن أهل الآخرة بين مثاب [1] أو معاقب أو مساءل يحاسب ، ولو كانوا مكلفين لجاز أن يتغير أحوال [أهل] [2] العقاب إلى الثواب وأحوال [أهل] [2] الثواب إلى العقاب ، وان يصيروا دون المؤمنين حالا فى الثواب بمنزلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منازله في ثوابه [3].

وإنما قلنا انه أولى منه ، لأن العقل لايمنع مما ذكروه من تغير أحوال [أهل] [4] الآخرة فى الثواب والعقاب ، وإن منع [من] [5] ذلك سمعٌ أو إجماعٌ عُوّل عليه فى المنع منه ، وإلا فقد كان مجوّزاً .

وليس لأحد أن يقول : كيف [يكون] [6] أهل الآخرة مكلفين وليس لهم دواعٍ مترددة ، والشبهة لاتدخل [7] عليهم ، والتكليف إنما يحسن تعريضاً للثواب ، و [الثواب] [8] لا يستحق مع توفر الدواعي وامتناع دخول الشبهة .

فالجواب عن هذه الشبهة : انه غير ممتنع دخول الشبهة على أهل الآخرة ، فيصح أن يكلفوا ، لأنهم في معاينتهم تلك الأحوال والآيات يجرون [9] مجرى من شاهد المعجزات العظيمة للانبياء عليهم السلام في أنه مكلف ، ويجوز دخول الشبهة عليه .

---

(١) في ب : من أهل الآخرة بين حيات

(٢) الزيادة من أ.

(٣) في أ : وثوابه .

(٤) الزيادة من أ .

(٥) الزيادة من ب .

(٦) الزيادة من ب.

(٧) في ب : والشبهة لا يدخل .

(٨) الزيادة من ب.

(٩) في أ : تجري .

وأما الذي يدل على أن أهل الآخرة لابدّ أن يكونوا عارفين بالله تعالى وأحواله فهو أن المثاب متى لم يعرّفه تعالى لم يصح منه معرفة كون الثواب ثواباً وواصلاً [1] اليه على الوجه الذي يستحقه [2] وانه دائم غير منقطع ، وإذا كانت هذه المعارف واجبة فما لايتم هذه المعرفة إلا به — من معرفة الله تعالى وإكمال العقل وغيرهما [3] — لابدّ من حصوله .

وإنما قلنا بوجوب حصول هذه [4] المعارف لأن المثاب متى لم يعرف أن الثوابَ واصل اليه على سبيل الجزاء عما فعله [5] من الطاعات لم يعلم أنه قدوفي حقه وُفيّ له [6] بما عرض لهمن التكليف الشاق ، ولأن كون الثواب [7] ثواباً مفتقر الى العلم بقصد فاعله الى التعظيم به ، والعلم بالقصد يقتضي العلم بالقاصد ، والعلم بدوام الثواب أيضا زائد فى لذة المثاب ونافٍ للتكدير والتنغيص بجواز انقطاعه ، ومعلوم أنه لايتم العلم بدوامه إلا بعد المعرفة بالله تعالى .

والقول في المعاقب يقرب [8] من القول [في] [9] المثاب ، لأنه يجب أن يعرف أن الآلام الواصلة اليه على سبيل العقاب ، فيعلم أنها مستحقة وواقعة على وجه الحَسَن ، ويعلم قصد القاصد الى الإستحقاق بها كما قلناه في باب الثواب والقصد إلى التعظيم به ، ويعلم أيضاً دوامه ، فيكون ذلك زائداً

(١) فى أ : ثواباً واصلاً .
(٢) في ب : استحقه .
(٣) فى أ و ب : وغيره .
(٤) في ب : هذين .
(٥) في أ : عما فعل .
(٦) في أ : ووفى لنا .
(٧) فى أ : ولا كون .
(٨) في أ : من المعاقب مقرب .
(٩) الزيادة من أ .

فى إيلامه والإضرار به [1] وهذا كله لايتم إلا بعد المعرفة بالله تعالى وأحواله فيجب حصولها .

فإن قيل : فمن أين [علمتم] [2] أن أهل الموقف يجب أن يكونوا عارفين بالله تعالى وليس يتم فيهم ماذكرتموه في أهل الثواب والعقاب .

قلنا : [أهل الموقف يجرون مجرى أهل الثواب والعقاب] [3] في وجوب المعرفة بالله تعالى ، لأن الفائدة في المحاسبة والمساءلة والموافقة هي حصول السرور واللذة لأهل الثواب ، والألم والحسرة لأهل العقاب ، فلا بد [من] [4] أن يعرفوا الله عز وجل ليعلموا ماذكرناه ، ولأن نشر الصحف والمحاسبة [5] والمساءلة أفعال واقعة على وجه الحكمة ، ولا يجوز أن يعرفوا وقوعها على هذا الوجه من الحُسْن والحكمة إلا بعد معرفتهم [6] بالله تعالى وأحواله ، ومتى لم يعرفوه [7] جوّزوا فيها خلاف مابني عليه من وجوه [8] الحكمة .

وإذا وجب في أهل الآخرة أن يكونوا عارفين بالله تعالى لم تخل حالهم فى هذه المعرفة من وجوه : إما أن يكونوا مكتسبين لها ومستدلين عليها ، أو يكونوا ملجأين إليها وإلى النظر المولّدلها ، أو يكونوا مضطرين إليها وإلى النظر المولدلها ، ولا يجوز أن يكونوا مكتسبين لهذه المعرفة ، لأن ذلك [9] يقتضي كونهم مكلفين ، وقد بينا أنهم غير مكلفين ، ولا

---

(١) في ب : الاحتراز به .

(٢) الزيادة من أ .

(٣) الزيادة من ب ،

(٤) الزيادة من أ .

(٥) في أ : والمحاسب .

(٦) فى ب : معرفته .

(٧) في أ : لم يعرفوا .

(٨) في ب : من وجه .

(٩) فى أ : لأن هذه .

يجوز أن يكونوا [مكتسبين] [1] لها على سبيل التذكر - كما يفعله المتنبه عن نومه عند انتباهه في أنه يفعل اعتقاداً لما كان عالماً [2] ، فيكون عَلُوماً لأجل التذكر . وذلك [أن] [3] هذا الوجه لايخرجون معه من جملة التكليف ، لأنهم – وإن كانوا عند التذكر لابد أن يفعلوا الاعتقادات التي تصير علوماً والشبه متطرقة عليهم ويجوز دخولها فيا علموه ، فلا بد أن يكلّفوا دفعها والتخلص منها ، فالتكليف ثابت أيضاً على هذا الوجه .

على أن هذا الوجه إنما يتطرق فيمن كان عارفاً بالله تعالى فى دار الدنيا ، وأما من لم يكن عارفاً [به] [4] فلا يتأتى منه .

فإن قيل : هؤلاء الذين كانوا فى الدنيا لايعرفون الله تعالى يعرفونه فى الآخرة ضرورة .

قلنا : بالإجماع نعلم ضرورة أن معارف أهل الآخرة متساوية في طريقها غير مختلفة ، ولا يجوز أن يكونوا ملجأين الى المعرفة ولا إلى النظر المولّد للمعرفة ، لأن الإلجاء [5] إلى أفعال القلوب لايصح إلا منه تعالى لأنه المطلع على الضمائر ، ولا يصح [6] أن يكون تعالى ملجئاً لهم إلا مع تقدّم معرفتهم به وبأحواله [7] ، لأنه إنما يُلجئهم إلى الفعل بأن يعلمهم [8] بأنهم متى حاولوا العدول عنه منعهم منه ، وذلك يقتضي كونهم عارفين به تعالى وبصفاته .

على أن الإلجاء الى المعرفة أيضا لايصح ، لأنه إنما يلجىء الى

---

(١) الزيادة من ب .
(٢) في أ : اعتقلوا لما كان علم به .
(٣) الزيادة من أ .
(٤) الزيادة من أ.
(٥) في ب : لأن إلجاء .
(٦) في ب : والصحيح .
(٧) في أ : وجوبا لهم .
(٨) في ب : الى الله بأن تعلمهم .

الإعتقادات المخصوصة ، بأن يعلم الملجأ أنه يمنعه متى رام غيرها . واكثر مافي ذلك أن يقع من هذا الملجأ تلك الإعتقادات ، فما الذي يقتضي كونها علوماً ومعارف ؟ ولا وجه يقضي ذلك من الوجوه المذكورة التي يصير الإعتقاد لها علما .

ولا يجوز أن يكون تعالى مضطراً لهم إلى النظر المولّد للمعرفة ، لأن ذلك جار مجرى العبث الذي لافائدة فيه [1] لأن الغرض هو المعرفة ، والإضطرار اليها يغني عن الإضطرار الى سببها . على أن في النظر مشقة وكلفة ، وذلك ينافي صفة أهل الثواب في الآخرة ، وإذا وجب في معرفة أهل الثواب منهم الإضطرار وجب ذلك في معارف الجميع من الوجه الذي بيناه .

فإن قيل : دلّوا [2] على أن [في] [3] مقدوره تعالى علماً يفعله في غيره ، فيكون ذلك الغير عالماً ، فإن كلامكم [4] مبني على أن ذلك مقدور غير ممتنع .

قلنا : لابد من كون ذلك في مقدوراته تعالى ، [لأنه] [5] لو لم يكن له مقدور لوجب في أجناس الإعتقادات على اختلافها أن تكون خارجة من مقدور الله تعالى ، لأنه لايوصف تعالى بالقدرة على علم يكون به هو تعالى عالماً ، واذا كان لايوصف بالقدرة على علم يكون غيره به عالماً ، فيجب أن يكون جنس العلوم من الإعتقادات خارجاً عن مقدوره ، وهذا يقتضي أن يكون غيره من المحدَثين أقدر منه وأكمل حالاً في القدرة ،

(١) في أ : لايليقه .
(٢) في ب : ولوا .
(٣) الزيادة من ب .
(٤) في ب : فان كلامك .
(٥) الزيادة من أ .

لأنا نقدر على هذه [1] الأجناس ، وإذا ثبت انه تعالى أقدر منا وأنه لايجوز أن نقدر على جنس لايقدر هو تعالى عليه ثبت أنه لابد أن يكون قادراً على جنس العلوم .

ولهذا كَفَّرَ أبو القاسم البلخي [2] في هذه المسألة ، وقيل له [إنك] [3] مصرح بأنا أقدر منه ، ولا يلزم على هذا مانقوله كلنا من أنه لايوصف بالقدرة على الجمع بين الضدين وأن يفعل فى نفسه الحركة وما أشبه ذلك، لأن هـذا كلّه غير مقدور في نفسه من حيث لايقدر عليه من القادرين أحد ، وليس كذلك قبيل الإعتقادات ، لأنه مقدور فى نفسه لمن هو انقص حالاً من القـديم تعالى في باب القدرة ، فأولى وأحرى أن يكون تعالى قادراً عليه .

فإن قيل : فإذا كان التكليف زائلاً عنهم فكيف أمرهم تعالى بقوله: « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية » [4].

قلنا : قيل إن هذا اللفظ ـ وإن كان صيغة الأمر ـ فليس بأمر [5] على الحقيقة بل يجري مجرى الإباحة ، والإباحة لها صورة الأمر ، فقيل أيضاً إنه أمر ، وانه تعالى أراد من أهل الجنة الأكل والشرب على سبيل الزيادة في ملاذّهم وسرورهم لاعلى سبيل التكليف .

---

(١) في ب : على هذين .

(٢) عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي ، كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم الكعبية ، وهو صاحب مقالات ، وكان من كبار المتكلمين ، وله اختيارات في علم الكلام . توفي سنة ٣١٧ هـ (وفيات الأعيان : ٢ / ٢٤٨).

(٣) الزيادة من ب .

(٤) سورة الحاقة : ٢٤ .

(٥) في ب : فليستامر .

فإن قيل : فكيف تقولون في شكر أهل الجنة لنعم الله تعالى ، أوليس هو لازم لهم [١] ؟

قلنا : [أما] [٢] مايرجع إلى القلب من الشكر فهو يحصل في قلوبهم ضرورة لأنه يرجع الى الإعتقادات ، وما يرجع إلى اللسان منه فلا كلفة فيه ، وربما كان مثله في اللذة [٣] لأن أحدنا يلتذ ويسر بالتحدث بنعم الله عليه ، لاسيما إذا كان وصولها اليه بعد شدة ومدى طويل من الزمان .

وأما أفعال أهل الجنة فالصحيح أنها واقعة منهم على سبيل الاختيار وإن كانوا ملجأين إلى الامتناع من القبح ، بخلاف ماقاله أبو الهذيل [٤] فانه كان يذهب إلى أن أفعالهم ضرورية .

والذي يدل على صحة ما اخترناه أنه لابد أن يكونوا مع كمال عقولهم ومعرفتهم بالأمور ممن يخطر القبيح بقلبه ويتصوره وهم قادرون عليه لامحالة ، ولا يجوز أن يخلى بينهم وبين فعله ، فلا يخلون من أن يمنعوا من فعل بأمر وتكليف أو بالجاء على ما اخترناه ، أو بأن يضطروا إلى خلافه على ماقاله أبو الهذيل . [ولا يجوز أن يكونوا مكلفين لما تقدّم ذكره ، ولا مضطرين على ماقاله أبو الهذيل] [٥] لأن المضطر مستنغص اللذة غير خال من تنغيص وتكدير لكونه مضطراً ، ولأن التصرف على

---

(١) في ب : وليس هو ملازم لهم . (٢) الزيادة من أ .

(٣) في ب : في صلة اللذة .

(٤) محمد بن الهذيل بن عبدالله بن مكحول العبدي، كان من أئمة الاعتزال له مقالات في الاعتزال ومجالس ومناظرات ، وكف بصره في آخر عمره ، ولد في البصرة سنة ١٣٥هـ وتوفي بسامراء سنة ٢٣٥ هـ (الأعلام للزركلي: ٧/ ٣٥٥).

(٥) الزيادة من أ .

اختياره فيما يتناول [مايشتهيه] [1] وينقله من حال إلى حال باختياره أزيد في لذاته وأدخل في تمتعه وسروره [ولذته] [2] وإنما يرّغب الله تعالى في اللذات الواصلة في الجنة على الوجه المعتاد في الدنيا ، فلم يبق بعد ذلك إلا أنهم يلجأون إلى الامتناع من القبيح ، وإلا جاز وقوعه منهم.

وأما ما ظن أبو الهذيل أنهم متى لم يكونوا مضطرين إلى أفعالهم كانت عليهم فيها مشقة وهم من حيث تكلفوا الأفعال ، وقد رأى أن قوله بذلك أدعى إلى تخليص الثواب من الشوائب . فقد بينا أن الذي ينغص اللذة هو كونهم [3] مضطرين لامختارين ، وإن نيل الملتذ مايناله [4] من اللذات باختياره وإيثاره أكمل للذته وأقوى لمنفعته . وأما الكلفة في الأفعال فهي مرتفعة عنهم ، لأنهم ينالون مايشتهون على وجه لاكلفة فيه ولا تعب ولا نصب .

فان قيل : فهذا يبين كون أهل الثواب غير مضطرين ، فما تقولون في أهل العقاب وأهل الموقف ؟

قلنا : أما أهل العقاب فكونهم مختارين لأفعالهم أشد تأثيراً في إيلامهم والاضرار بهم ، لأنهم إذا لم يتمكنوا – مع كونهم مختارين – أن يدفعوا مانزل بهم من الضرر كان ذلك أقوى لحسراتهم وأزيد في غمهم . وأما أهل الموقف فبالاجماع يعلم أن أفعالهم [5] كأفعال أهل الجنة وأهل النار ، لأن أحداً [6] لم يفرّق بين الجميع .

فان قيل : فاذا قلتم أنهم ملجأون الى ألا يفعلوا القبيح فقد ثلم من

---

(١) الزيادة من أ . (٢) الزيادة من ب .

(٣) في أ : وهم كونهم . (٤) في ب : ماتناله .

(٥) في ب : ان فعاله . (٦) في أ : وأحد .

ذلك كونهم مختارين لأفعالهم على بعض الوجوه . قلنا : إنما يلجأون إلى ألا يفعلوا القبيح خاصة ، فالإلجاء إنما يكون فيما لايفعلونه ، فأما مايفعلونه فهم فيه مخيرون ، لأنهم يؤثرون [1] فعلاً على غيره وينتقلون من حال الى أخرى بعد ألا يكون في أفعالهم شيء من القبيح . وليس يمتنع أن يكون الملجأ من وجه مخيراً [كذلك] [2] من آخر ، لأن من ألجأه السبع إلى مفارقة مكان بعينه هو مخيرٌ في الجهات المختلفة والطرق المتغايرة ، فالتخير ثابت وإن كان ملجأ من بعض الوجوه ، وليس يجب أن يلحقهم غم ولا حسرة من حيث ألجئوا [3] إلى ألا يفعلوا القبيح ، لأنهم مستغنون عنه بالحسن ، فلا غم ولاحسرة في الإلجاء الى مفارقة القبيح [4].

وهذه الجملة كافية لمن اطلع عليها . والله الموفق للصواب .

---

(١) في ب : يورثون . (٢) الزيادة من أ .

(٣) في أ : من أن ألجئوا . (٤) في ب : الى أفعال القبيح .

– ٤ –

إنقاذ للبشر من الجبر والقدر

حول الرسالة :

هذه الرسالة موجودة في مجموعة الشيخ آغا بزرك الطهراني ص ٢ ـ ٢٠ بعنوان « إنقاذ البشر من الجبر والقدر للسيد الأجل المرتضى علم الهدى ـ ره » وكتب في آخرها « واستنسخه بيمناه الداثرة العبد المسيء محمد محسن الشهير بآقا بزرك ابن المرحوم الحاج علي الطهراني. اللهم اغفرلي ولوالديّ ولجميع المؤمنين . وفي عشية الجمعة وقع الفراغ بفضل رب العالمين ، لاثني عشر بقين من أول أشهر الحرم من شهور سنة ثلاثمائة وتسع وعشرين بعدالألف من الهجرة » .

وطبعت أيضاً مع « استقصاء النظر في القضاء والقدر » للعلامة الحلي سنة ١٣٥٤ هـ في النجف الأشرف بتصحيح وتعليق الأستاذ علي الخاقاني النجفي ، مصدرة بمقدمة حول أهمية الكتاب بقلم الشيخ محمد الجواد الجزائري وترجمة المؤلف بقلم المصحح ، ومذيلة بفهرس للاعلام وآخر لمواضيع الكتاب . وبالرغم من الجهود الكبيرة المبذولة فى سبيل تحقيق الرسالة وتصحيحها نجد أخطاء وتحريفات كثيرة حتى في بعض الآيات القرآنية الكريمة .

ولم يشر الأستاذ المحقق الى النسخ التى اعتمد عليها فى التحقيق ، كما انه أضاف عناوين لمواضيع الكتاب ـ زيادة على العناوين الموجودة فيه من المؤلف ـ ولم يميزها حتى يتبين ما أضافه في صلب الكتاب .

ونحن رجعنا في المقابلة الى هذه النسخة ، وأبقينا على اكثر العناوين التي كان أضافها المحقق مشيرين اليها والى الفروق في الهامش بـ « مط »

بسم الله الرحمن الرحيم

نبدأ [1] رسالتنا هذه بالحمد لله ربنا على نعمه الواصلة [منه] [2] إلينا ، وعلى إحسانه المتقدم علينا [3] ، إذ أصبحنا [4] بتوحيده وعدله قائمين ولمن جوّره في حكمه عائبين ، ولمعاصينا عليه غير حاملين ، وبآثار أئمة الهدى مقتدين ، وبالمحكم من كتابه وآياته متمسكين .

فالحمد لله الذي اختصنا بهذه النعمة ، وشرّفنا بهذه الفضيلة ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، ورسول رب العالمين ، الذي جعله رحمةً للعباد أجمعين ، واستنقذ به من الهلكة ، وهدى به من الضلالة ، وكان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً ، فبلغ عن ربه ، واجتهد في طاعته ، حتى أتاه اليقين ، وعلى آله الطاهرين .

سألت أعزّك الله وأرشدك إملاءَ رسالة في القدر فقد جالت به الفكر واكثرها عن معرفته قد انحسر ، وذكرت أن الذي حداك الى ذلك ماوجدته ظاهراً في عوام النيل [5] ومعظم خواصها من القول المؤدي الى الكفر المحض

(١) في أ : نبتدئ .
(٢) الزيادة من أ .
(٣) في أ : إلينا .
(٤) في مط : إذا أصبحنا .
(٥) النيل يطلق على عدة أمكنة لانعلم أيها قصد السائل : « أحدها » بليدة في سواد الكوفة قرب حلة بني مزيد يخترقها خليج كبير يتخلج من الفرات الكبير . « ثانيها » نهر من انهار الرقة حفره الرشيد على ضفة نيل الرقة . «ثالثها» نيل مصر وهو النهر المشهور (معجم البلدان : ٥/ ٣٣٤) .

بسبب الجبر وتجويرهم الله في حكمه ، وحملهم معاصيهم عليه [1] ، وإضافتهم القبائح إليه ، وتعلقهم بأخبار مجهولة منكرة او متشابهة في اللفظ مجملة ، وحجاجهم بما تشابه من الكتاب لعدم معرفتهم بفائدته ، وقصور أفهامهم عن [الغرض] [2] المقصود به .

واعلم أن الكلام في القضاء والقدر قد أعيى أكثر أهل النظر ، واتعب ذوي الفكر ، والمتكلم فيه بغير علم على غايةٍ [من] [3] الخطر والذي يجب على من أراد معرفة هذا [4] الباب ـ وهو [5] العلم بما يستحق الباري سبحانه من الأوصاف الحميدة وما يُنفى عنه من ضدها ـ فانه متى علم ذلك أمن من أن يضيف اليه ماليس من أوصافه أو ينفي عنه ماهو منها ويتبع ذلك من الابواب مالا بد من الوقوف عليه : نحو المعرفة بأقوال المبطلين ، ومعرفة أقوال المحقين ، وغير ذلك مما سنبينـــه فيما بعد إنشاء الله تعالى .

[حدوث البحث في أفعال العباد] [6]

واعـلم ان أول حالة ظهر فيها الكلام وشاع بين الناس في هــذه الشريعة ، هو أن جماعــة ظهر منهم القول بإضافة معاصي العباد الى الله سبحانه ، وكان الحسن بن أبي الحسن [7] البصري [8] ممن نفى ذلك ، ووافقه

(١) في أ : وحمله معاصيه عليه . (٢ ـ ٣) الزيادة من أ .

(٤) في مط : معرفة في هذا . (٥) في مط : هو .

(٦) الزياد من مط . (٧) فى مط : أبي الحسين .

(٨) أبو سعيــد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ، مولى زيـد بن ثابت الأنصاري ، كان الحسن احد الزهاد الثمانية ، وكان يلقى الناس بما يهوون ويتصنع للرئاسة ، وكان رئيس القدرية ، ولد سنة ٨٩ وتوفي في رجب سنة ١١٠ هـ (الكنى والألقاب : ٢/٧٤) .

في زمانه [جماعة و] [1] خلق كثير من العلماء كلهم ينكرون أن تكون معاصي العباد من الله ، منهم معبد الجهني [2] وأبو الأسود الدؤلي [3] ومطرّف بن عبد الله [4] ووهب بن منبه [5] وقتادة [6]

---

(١) الزيادة من أ .

(٢) معبد بن عبد الله بن عويم الجهني البصري ، أول من قال بالقدر في البصرة ، وحضر يوم التحكيم وانتقل من البصرة الى المدينة فنشر فيها مذهبه ، خرج مع ابن الاشعث على الحجاج فجرح فأقام بمكة ، فقتله الحجاج بعد أن عذبه ، وقيل صلبه عبد الملك بن مروان بدمشق ، وذلك في سنة ٨٠ هـ (الأعلام للزركلي:٨/١٧٧).

(٣) اسمه ظالم بن عمرو أوظالم بن ظالم ، كان من السادات التابعين وأعيانهم ومن شعراء الإسلام الفضلاء الفصحاء ، ابتكر النحو باشارة امير المؤمنين عليه السلام،توفي بالطاعون الجارف فيالبصرة سنة٦٩هـ (الكنى والالقاب : ١/٧-١٠)

(٤) أبو عبدالله مطرف بن عبدالله بن الشخير بن عوف بن كعب الحريشي كان من مشاهير الزهاد ، مات سنة ٨٧ أو ٩٥ هـ (وفيات الأعيان : ٤/٢٩٩) .

(٥) ابو عبد الله وهب بن منبه الصنعاني ، كان على قضاء صنعاء ، وكتب كتاباً في القدر ثم ندم ، وكان كثير النقل من كتب الاسرائيليات ، ولد في آخر خلافة عثمان وتوفي سنة ١١٤ هـ (ميزان الاعتدال : ٤/٣٥٢) .

(٦) ابو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي، كان ذا علم في القرآن والحديث والفقه ، وكان يقول بشيء من القدر ثم رجع عنه ، وقال : مانسيت شيئاً قط . ثم قال : ياغلام ناولني نعلي ، قال : نعلك في رجلك ، مات بالبصرة سنة ١١٧ هـ (معجم الادباء:١٧/ ٩ - ١٠) .

وعمرو بن دينار [1] ومكحول الشامي [2] وغيلان [3] وجماعة كثيرة لاتحصى [4] ولم يك ما وقــع من الخلاف حينئذ يتجاوز باب إضافة [5] معاصي العباد الى الله سبحانه عن ذلك ونفيها عنه وغيره من هذا الباب بباب [6] القدرة والمقدور وما اشبهه [7].

[الاقوال في كيفية خلق الافعال] [8]

فأما الكلام في خلق افاعيل العباد [و] [9] في الاستطاعة وفيما اتصل بذلك وشاكله فإنما حدث بعد دهر [طويل] [10].

---

(١) ابو يحيى عمرو بن دينار البصري ، مولى آل الزبير بن شعيب ، قال احمد ضعيف ، وقال البخاري فيه نظر ، وقال ابن معين ذاهب ، وقال مرة ليس بشيء وقال النسائي ضعيف (ميزان الاعتدال : ٣ / ٢٥٩) .

(٢) مكحول الدمشقي ، مفتي أهل دمشق وعالمهم ، هو صاحب تدليس ورمي بالقدر ، وكان يقول : ما استودعت صدري شيئاً إلا وجدته حين أريد ، مات سنة ١١٣هـ (ميزان الاعتدال : ٤/١٧٧) .

(٣) أبو الحارث ذوالرمة غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود ، أحد فحول الشعراء ، قيل : فتح الشعر بامرىء القيس وختم بذي الرمــة ، مات سنة ١١٧ هـ (الكنى والألقاب : ٢/٢٢٧) .

(٤) في أ : لاتخفى .

(٥) في أ : صفات [اضافة ظ] ، وفي مط : صفات [إضافة] .

(٦) في مط : بيان ، وفي أ : بيان [بباب ظ] .

(٧) في أ : القدر وما اشبهه . (٨) الزيادة من مط .

(٩) الزيادة من أ . (١٠) الزيادة من مط .

ويقال : إن اول من حفظ عنه القول بخلق افاعيل العباد جهم بن صفوان [1] ، فانه زعم ان مايكون في العبد من كفر وإيمان ومعصية فالله فاعله كما فعل لونه وسمعه وبصره وحياته ، وانه لافعل للعبد فى شيء من ذلك ولا صنع ، والله تعالى صانعه ، وان لله تعالى ان يعذبه من ذلك على مايشاء ويثيبه على مايشاء .

وحكى عنه علماء التوحيد انه كان يقول مع ذلك : إن الله خالق فى العبد قوةً بها كان فعله ، كما خلق له غذاء يكون به قوام بدنه ، ولا يجعل العبد كيف تصرف [2] حاله فاعلا لشيء على حقيقته [3] ، فاستبشع من قوله أهل العدل وأنكروه مع أشياء أخر حكيت عنه .

ولما أحدث جهم القول بخلق أفعال العباد قبل ذلك ضرار بن عمرو [4] بعد أن كان [ضرار] [5] يقول بالعدل ، فانتفت عنه المعتزلة واطرحته ، فخلّط عند ذلك تخليطاً كثيراً ، وقال بمذاهب خالف فيها جميع أهل العلم

---

(١) أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي ، رأس الجهمية ، وقدزرع شراً عظيماً، كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج الخارج على أمراء خراسان، فقبض عليه نصر بن سيار وأمر بقتله فقتل سنة ١٢٨هـ (الأعلام للزركلي : ٢ / ١٣٨).

(٢) في مط : يصرف .

(٣) في مط : على حقيقة .

(٤) ضرار بن عمرو القاضي ، معتزلي جلد ، له مقالات خبيثة . قال أحمد ابن حنبل: شهدت على ضرار عند سعيد بن عبدالرحمن القاضي فأمر بضرب عنقه فهرب (ميزان الاعتدال : ٢ / ٣٢٨) .

(٥) الزيادة من أ .

وخرج عما كان عليه واصل بن عطاء [1] وعمرو بن عبيد [2] بعد ما كان يعتقد فيهما من العلم وصحة الرأي ، لأنه كان في الأول على رأيهما بل صحبهما وأخذ عنهما .

ثم تكلم الناس بعد ذلك في الاستطاعة ، فيقال : إن أول من اظهر القول بأن الاستطاعة مع الفعل يوسف السمتي [3] وانه استزلهالى ذلك بعض الزنادقة فقبله عنه ، ثم قال بذلك حسين النجار [4] ، وانتصر لهذا القول ووضع فيه الكتب ، فصارت مذاهب المجبرة بعد ذلك على ثلاثة أقاويل :

---

(١) واصل بن عطاء البصري الغزال المتكلم ، كان يلثـغ بالراء فلبلاغته هجر الراء وتجنبها في خطابه ، وكان يتوقف فى عدالة اهل الجمل ويقول : احدى الطائفتين فسقت لابعينها ، فلو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة على باقة بقل لم احكم بشهادتهم . ولد سنة ٨٠ بالمدينة ومات سنة ١٣١هـ(ميزان الاعتدال ٤/٣٢٩)

(٢) ابو عثمان عمرو بن عبيد بن باب التيمي البصري ، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها ، كان جده من سبي فارس وأبوه نساجاً ثم شرطياً للحجاج في البصرة ، وقال يحيي بن معين : كان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع ، ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٤٤هـ (الاعلام للزركلي: ٥ / ٢٥٢) .

(٣) يوسف بن خالد السمتي الفقيه ، قال ابو حاتم : رأيت له كتاباً وضعه فى التجهم ينكر فيه الميزان والقيامة ، مات في رجب سنة ١٨٩ هـ (ميزان الاعتدال ٥/٤٦٣) .

أقول : كذا ورد « السمتي » في ميزان الإعتدال ، وفي أو مط : السمني .

(٤) ابو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله النجار الرازي ، رأس الفرقة النجارية من المعتزلة ، وهو من متكلمي المجبرة ، وله مع النظام عدة مناظرات ، توفي نحو سنة ٢٢٠ هـ (الاعلام للزركلي: ٢ / ٢٧٦) .

« احدها » ـ ان الله تعالى خلق فعل العبد وليس للعبد في ذلك فعل ولا صنع ، وإنما يضاف اليه أنه [1] فعله كما يضاف اليه لونه وحياته ، وهو قول جهم .

« والثاني » ـ ان الله تعالى خلق فعل العبـد ، وان العبـد فعله باستطاعة [2] في العبد متقدمة ، وهو قول ضرار ومن وافقه .

« والثالث » ـ ان الله تعالى خلق فعلَ العبد وان العبد فعله باستطاعة حدثت له في حال الفعل لايجوز أن تتقدم الفعل ، وهو قول النجار وبشر المريسي [3] ومحمد بن غوث ، ويحيى بن كامل [4] وغيرهم ، من متكلمي المجبرة [وعند هذا أكثر متكلمي المجبرة] [5] نحو الاشاعرة وغيرهم .

ثم تكلم الناس بعد ذلك فيما اتصل بهذا من أبواب الكلام في العدل واختلفوا فيه اختلافاً كثيراً ، والكلام في ذلك [من] [6] أوسع ابواب العلم [وجوهاً وأعمقها بحراً] [6] ، ونحن نورد الك في هذا المعنى مايتحصل

---

(١) في مط : لأنه .   (٢) في أ : استطاعة .

(٣) ابو عبد الرحمن بشر بن غياث بن أبي كريمي المريسي الفقيه الحنفي ، اشتغل بالكلام وجرد القول بخلق القرآن وحكي عنه في ذلك اقوال شنيعة ، وكان مرجئاً واليـه تنسب الطائفة المريسية ، توفي ببغداد سنة ٢١٨ وقيل سنة ٢١٩ هـ (وفيات الأعيان : ١ / ٢٥١) .

وجاء بدلاً عن المريسي في أ : مرسي .

(٤) ابو علي يحيى بن كامل بن طليحـة الحدري ، كان أولا من اصحاب بشر المريسي ومن المرجئة ثم انتقل الى مذهب الإباضيـة ، له كتب منها كتاب التوحيد والرد على الغلاة (هامش مط : ٣١) .

(٥) الزيادة من أ .   (٦) الزيادة من أ .

به الغرض ، وتنحسم به شبه [1] الخصوم ونجعله ملخصاً وجيزاً بلفظ مهذّب والى الفهم مقرّب ، ونبتدىء [2] في أوله بوصف دعوة أهل الحق في ذلك ونردفها [3] بما يجب ، وقد وسمنا هذه الرسالة بـ (إنقاذ البشر من الجبر والقدر) وها نحن مبتدئون بذلك ومستعينون بمن له الحول والقوة وهو حسبنا ونعم الوكيل [4].

(فصل)

في دعوة أهل الحق وبيانها

قالت عصبة أهل الحق : إن [5] الله جلّ ثناؤه اصطفى الإسلام ديناً ورضيه لعباده واختاره لخلقه ، ولم يجعله موكولاً الى رأيهم ، ولا جارياً على مقادير أهوائهم ، دون أن نصب له الأدلة ، وأقام عليه البراهين ، وأرسل به الرسل ، وأنزل به الكتب ، ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيى من حيّ عن بينه .

وللإسلام حدود ، وللقيام به حقوق ، وليس كل من ادعى ذلك أخذه [6] ، ولا كل من انتسب اليه صار من أهله ، وقد علمنا أن أهل القبلة [قد] [7] اختلفوا في امور صاروا فيها الى خلل ، فضلّل بعضهم بعضاً [8] وكفر بعضهم بعضاً ، وكلٌ يدعي أن ما ذهب اليه من ذلك

(١) في أ : وينحسم به شعب . (٢) في أ : وأبتدي .

(٣) في أ : وأردفها .

(٤) زاد في مط بعد هذا عنواناً هكذا « دعوة أهل الحق » .

(٥) في مط : وإن . (٦) في أ : أحزم .

(٧) الزيادة من أ .

(٨) في أ : في أمور صاروا فيها الى أن ضلل بعضهم بعضاً .

وانتحله هو دين الله ودين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

ومعلوم عند كل عاقل أن ذلك كله على اختلافه لايجوز أن يكون حقاً لتضاده واختلافه ، ولا بد حينئذ من اعتبار ذلك وتمييزه ليتبع منه الحق ، ويجتنب منــه الباطل ، وقد علمنا بالأدلة الواضحة ، والبراهين الصحيحة - التي يوافقنا عليها جميع فرق أهل الملة - بطلان [1] قول كلّ من خالف جملة الإسلام ماجاء به القرآن وصح عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فاذا كان الأمر كذلك وجب [2] أن يكون كل من قال من الأمة قولاً يكون عند الاعتبار والنظر خارجاً مما يوجبه الاسلام ويشهد به الرسول (ص) والقرآن [أو] [3] موجباً لأن يكون معتقده ليس من جملة الاسلام على سبيل قوة واستبصار لقوله بما لايصح اعتقاده الاسلام معه ولا يوصل الى معرفته ثم القول [4] به ، فهو محجوج في مذهبه ، ومبطل في قوله ، ومبتدع فى الاسلام بدعة ليست من دين الله ولا من دين رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

قالوا : وقد تدبرنا ما اختلف فيه اهل القبلة بفطرة [5] عقولنا وعرضنا ذلك على كتاب الله سبحانه وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فوجدنا الحق بذلك متميزاً من الباطل تمييزاً يدركه كلٌ من تدبر الكتاب والسنة بفكره ، وتميز الأمور بعقله ، ولم يجعل هواه قائداً له ، و [لم] يقلد [6]

---

(١) فى مط : وقد علمناه ... وأبطل .

(٢) في أ : فواجب .

(٣) الزيادة من أ .

(٤) فى مط : نعم القول .

(٥) فى أ : بفطر .

(٦) فى مط : [لا] تقليد .

من لاحجة في تقليده ، فرأينا من الواجب علينا في الدين ان نبين امر [1] ذلك للناس ولا نكتمه ، وان ندعوهم الى الحق ونحتجّ له ولا نتشاغل عن ذلك ونعرض عنه ، ونحن نرى ماحدث من البدع ، وخولف من سبيل السلف .

وكيف يجوز الاعراض عن ذلك والله تعالى يقول : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » [2] ويقول : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون . كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون » [3] .

قالوا : وأيّ مُنكَرٍ أفحش ، وأيّ معصية أعظم من تشبيه الله تعالى بخلقه ، ومن تجويره في حكمه ، ومن سوء الثناء عليه وإضافة الفواحش والقبائح اليه ، وكيف لايكون كذلك وفي القول بالتشبيه والإجبار الانخلاع عن معرفة الله تعالى ومعرفة جميع رسله ، إذ كل من شبّه اللهَ بشيء من خلقه لم يتهيأ له أن يثبت الله قديماً وقد أثبت له مثلاً محدَثاً ، وفي ذلك عدم العلم بالصنع والصانع والرسول والمرسِل ، وإن من أجاز على الله جل وعلا فعل الظلم والكذب وإرادة الفواحش والقبائح لم يمكنه أن يثبت لرسول من رسل الله تعالى معجزة أقامها الله تعالى لهداية الخلق دون إضلالهم ولرشدهم دون إغوائهم [4] ، وفي ذلك سقوط العلم بصدق الرسل فيما دعت اليه ،

---

(١) في أ : أمور . (٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٣) سورة المائدة : ٧٨ و ٧٩ .

(٤) في مط : ولا لرشدهم دون إغوائهم .

وذلك يوجب أن لايكون معتقداً ، ولا لازمٌ الإخبار عن ثقة ويقين [1] من صدق الرسل ، ولا صحة الكتب ، ولا كون الجنة والنار ، وهذا هو الخروج من دين الاسلام ، والانخلاع عن دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم

قالوا : ونحن نصف قولنا ونذكر دعوتنا فليتدبر ذلك السامع منا ، وليقابل [2] به قول غيرنا ، فانه سيعلم ـ إن كان له قلب أوالقى السمع وهو شهيد ـ أينا أهدى سبيلاً ، وأقوم قيلاً ، وأولى بالتمسك بالكتاب والسنة ، واتباع الحجة ، ومجانبة البدعة :

فأول ذلك أن نقول : إن الله ربنا ، ومحمد [3] نبينا ، والإسلام ديننا ، والقرآن إمامنا ، والكعبة قبلتنا ، والمسلمون إخواننا ، والعترة الطاهرة من آل رسول الله (ص) وصحابته والتابعين لهم بإحسان سلفنا وقادتنا ، والمتمسكون بهديهم من القرون بعدهم جماعتنا وأولياؤنا ، نحب من أحب الله ، ونبغض من أبغض الله ، ونوالي من والى الله ، ونعادي من عادى الله ، ونقول فيما اختلف فيه أهل القبلة بأصول نشرحها ونبينها : فأولها توحيدنا لربنا ، فإنا نشهد أن الله عز وجل واحد ليس كمثله شيء وانه الأول قبل كل شيء ، والباقي بعد فناء كل شيء ، والعالم الذي لايخفى عليه شيء ، والقادر الذي لايعجزه شيء ، وانه الحي الذي لايموت ، والقيوم الذي لايبيد ، والقديم الذي لم يزل ولا يزال ، حياً ، سميعاً ، بصيراً ، عالماً ، قادراً ، غنياً ، غير محتاج الى مكان ولا زمان ولا اسم ولا صفة ولا شيء من الأشياء على وجه من الوجوه ولا معنى من المعاني ، قد سبق الأشياء كلّها بنفسه ، واستغنى عنها بذاته ، ولا قديم إلا [هو] [4]

---

(١) في مط : ولالازم الإجبار على [الإجبار عن خ] ثقة وتيقن . وفي أ: ولا لازم الاجبار على ثقة ويقين .   (٢) في مط : وليتأمل .

(٣) في أ : ومحمداً .   (٤) الزيادة من أ .

وحــده سبحانه وتعالى عن صفات المحدثين ، ومعاني المخلوقين ، وجلّ وتقدس عن الحدود والأقطار ، والجوارح والأعضاء ، وعن مشابهة شيء من الأشياء أو مجانسة جنس من الأجناس ، أو مماثلة شخص من الأشخاص وهو الاله الواحد الذي لاتحيط به العقول ، ولا تتصوره الأوهام ، ولا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ، الذي يعلم مايكون ، ويعلم ماكان وما سيكون وما لايكون لو كان كيف كان يكون قد أحاط بكل شيء علما ، واحصى كل شيء عدداً ، وعلم الأشياء كلّها بنفسه من غير علم أحدثه ، ومن غير معين كان معه ، بل علم ذلك كله بذاته التي لم يزل بها قادراً عالماً حياً سميعاً بصيراً ، لأنه الواحد الذي لم يزل قبل الأشياء كلها ثم خلق الخلق من غير فقر ولا حاجة ، ولا ضعف ولا استعانة ، من غير أن يلحقه لحدوث ذلك تغير ، أو يمسه لغوب ، أو ينتقل به الى مكان ، او يزول به عن مكان ، إذ كان جل شأنه لم يزل موجوداً قبل كل مكان ، ثم حدثت الأماكن وهو على ماكان فليس يحويه مكان ، وقد استوى على العرش بالاستيلاء والملك والقدرة والسلطان وهو مع ذلك بكل مكان آله عالم ، مدبر ، قاهر ، سبحانه وتعالى عما وصفه به الجاهلون ، من الصفات التي لاتجوز إلا على الأجسام من الصعود والهبوط ، ومن القيام والقعود ، ومن تصويرهم له جسداً ، واعتقادهم اياه مشبها [للعباد] [1] يدركونه بأبصارهم ، ويرونه بعيونهم ، ثم يصفونه بالنواجذ والأضراس ، والأصابع والاطراف ، وانه [2] في صورة شاب أمرد وشعره جعد قطط ، وانه لايعلم الأشياء بنفسه ، ولا يقدر عليها بذاته ، ولا يوصف بالقدرة على أن يتكلم ولا يكلم احداً من عباده ، فتعالى الله

(١) الزيادة من أ. (٢) في أ : وما به .

عما قالوا ، وسبحانه عما وصفوا ، بل هو الاله الواحد الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، العليم القدير ، الذي كلم موسى تكليماً ، وأنزل القرآن تنزيلا ، وجعله ذكراً محدثاً من احسن الحديث ، وقرآنا عربياً من أحسن [1] الكلام ، وكتاباً عزيزاً من أفضل الكتب ، أنزل بعضه قبل بعض ، وأحدث بعضه بعد بعض ، وأنزل التوراة والإنجيل من قبل ، وكل ذلك محدَث كائن بعد أن لم يكن ، والله قدير قبله لم يزل ، وهو رب القرآن وصانعه وفاعله ومدبره ، ورب كل كتاب أنزله ، وفاعل كل كلام كلم به احداً من عباده ، والقرآن كلام الله ووحيه ، وتنزيله الذي أحدثه لرسوله وجعله هدىً ، وسمى نفسه فيه بالأسماء الحسنى ، ووصفها فيه بالصفات المثلى ليسميه بها [2] العباد ، ويصفوه بها ويسبحوه ويقدسوه [3] ولا إله إلا الله وحده ، ولا قديم إلا الله دون غيره من كل اسم وصفة ومن كل كلام وكتاب ، ومن كل شيء جاز أن يذكره ذاكر ، أو يخطره على باله مفكر : هذا قولنا في توحيد ربنا .

[دعوة أهل الحق في العدل] [4]

فأما قولنا في عدله ـ وهو المقصود من هذا الكتاب وإنما أوردنا معه غيره لأنا أردنا إيراد جملة الاعتقاد ـ فإنا نشهد أنه العدل الذي لايجور ، والحكيم الذي لايَظلم ولا يُظلم [5] ، وانه لايكلف عباده مالا يطيقون ، ولا يأمرهم بمالا يستطيعون ، ولا يتعبدهم بما ليس لهم إليه سبيل ، لأنه

(١) في أ : من أبين .　　(٢) في أ : ليسميه به .
(٣) أ : ويصفونه ويسبحونه ويقدسونه .
(٤) العنوان من مط .　　(٥) في أ : وانه لايظلم .

أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين ، الذي أمرنا بالطاعة ، وقدَّم الاستطاعة، وأزاح العلة ، ونصب الأدلة ، وأقام الحجة ، وأراد اليسر ولم يرد العسر، فلا يكلف نفساً إلا وسعها ، ولا يحملها ماليس من طاقتها ، ولا تزر وازرة وزر أخرى ، ولا يؤاخذ أحداً بذنب غيره ، ولايعذبه على ماليس من فعله ، ولا يطالبه بغير جنايته وكسبه ، ولا يلومه على ماخلقه فيه ، ولا يستبطئه فيما لم يقدره عليه ، ولا يعاقبه إلا باستحقاقه ، ولا يعذبه إلا بما جناه على نفسه ، وأقام الحجة عليه فيه ، المنّزه عن القبائح ، والمبرأ عن الفواحش ، والمتعالى عن فعل الظلم والعدوان ، وعن خلق [1] الزور والبهتان الذي لايحب الفساد ، ولا يريد ظلماً للعباد ، ولا يأمر بالفحشاء ، ولا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ، وكل فعله حسن ، وكل صنعه جيد ، وكل تدبيره حكمة .

سبحانه وتعالى عما وصفه به القدرية المجبرة المفترون الذين أضافوا اليه القبائح ، ونسبوه الى فعل [2] الفواحش ، وزعموا أن كل مايحدث في العباد من كفر وضلال ، ومن فسق وفجور ، ومن ظلم وجور ، ومن كذب وشهادة زور ، ومن كل نوع من أنواع القبائح ، فالله تعالى فاعل ذلك كله ، وخالقه وصانعه ، والمريد له ، والمدخل فيه ، وأنه يأمر قوماً من عباده بما لايطيقون ، ويكلفهم بما لايستطيعون ، ويخلق فيهم مالايتهيأ لهم الإمتناع منه ، ولا يقدرون على دفعه ، مع كونه على [خلاف] [3] ما أمرهم به [4] ثم يعذبهم على ذلك في جهنم بين أطباق النيران خالدين فيها أبداً .

---

(١) في هامش أ : قول ـ ظ .
(٢) في أ : الى جعل .
(٣) الزيادة من مط .
(٤) في مط : ما أمر به .

وزعم منهم قوم أنه يشرك معهم في ذلك العذاب [1] الاطفال الصغار [2] الذين لاذنب لهم ولا جرم ، ويجيز آخرون [منهم] أنه يأمر [3] الله تعالى العباد وهم على ماهم عليه من هذا الخلق وهـذا التركيب أن يطيروا في جـو السماء وأن يتناولوا النجوم ، [وأن] [4] يقتلعوا الجبال ويدكدكوا الأرض ، ويطووا السماوات كطيِّ السجل ، فاذا لم يفعلوا ذلك لعجزهم عنه وضعف بنيتهم عن احتماله ، عذبهم في نار جهنم عذاباً دائماً ، فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وتقدَّس عما وصفوه به .

بل نقول : إنه العدل الكريم الرؤف الرحيم ، الذي حسنات العباد منسوبة اليه ، وسيئاتهم منفية عنـه ، لأنه امر بالحسنة ورضيها [5] ورغب فيها ، وأعان عليها ، ونهـى عن السيئة وسخطها ، وزجر عنها ، وكانت طاعات العباد منه بالأمر والترغيب ، ولم تكن معاصيهم منه للنهي والتحذير ، وكان جميع ذلك من فاعليه ومكتسبيه بالفعل والإحداث ، وكانت معاصيهم وسيئاتهم من الشيطان بالدعاء والإغواء .

[آراء المخالفين لأهل العدل] [6]

فأما من يخالفنا فقد افتضحوا حيث قالوا : إن من الله جور الجائرين وفساد المعتدين ، فهو عندهم المريد لشتمه ، ولقتال أنبيائه ، ولعن أوليائه

(١) في مط : العدل .
(٢) في مط : والصغار .
(٣) في مط : ويجيز آخرون [أنه] أن يأمر .
(٤) الزيادة من مط .
(٥) زاد في مط : [رضى بهاخ] .
(٦) العنوان من مط .

وانه أمر بالإيمان ولم يرده ، ونهى عن الكفر وأراده ، وأنه قضى بالجور والباطل ثم أمر عباده بانكار قضائه وقدره ، وانه المفسد للعباد ، والمظهر في الأرض الفساد ، وأنه صرف أكثر خلقه عن الإيمان والخير ، وأوقعهم في الكفر والشرك ، وأن من أنفذ وفعل ماشاء عذبه ، ومن رد قضاءه وأنكر قدره وخالف مشيئته أثابه ونعّمه ، وأنه يعذب أطفال المشركين [بذنوب آبائهم] [1] وانه تزر الوازرة عندهم [2] وزر أخرى ، وتكسب النفس على غيرها ، وأنه خلق أكثر خلقه للنار ، ولم يمكّنهم من طاعته ثم أمرهم بها ، وهو عالم بأنهم لايقدرون عليها ، ولا يجدون السبيل اليها ، ثم استبطأهم لمَ لم يفعلوا مالم يقدروا عليه [3] ، ولم لم يوجدوا مالم يمكنهم منه ؟ وانه صرف اكثر خلقه عن الإيمان ثم قال : « أنّى تُصرفون » [4] وأفكهم وقال : « أنّى تؤفكون » [5] ، وخلق فيهم الكفر ثم قال : « لم تكفرون» [6] ،وفعل فيهم لبس الحق بالباطل ثم قال : « لم تلبسون الحق بالباطل» [7] ، وأنه دعى إلى الهدى ثم صدّ عنه وقال : « لم تصدّون عن سبيل الله » [8] .

وقال خلق كثير منهم : إن الله تعالى منع العباد من الإيمان مع قوله : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى » [9] وأنه حال بينهم وبين الطاعة ثم قال : « وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر » [10] وأنه ذهب بهم عن الحق ثم قال : « فأين تذهبون » [11] ، وأنه لم يمكنهم

(١) الزيادة من مط .
(٢) في أ : عنده .
(٣) في أ : مالا يقدرون عليه .
(٤) سورة يونس : ٣٢ .
(٥) سورة الأنعام : ٩٥ .
(٦) سورة آل عمران : ٧٠ :
(٧) سورة آل عمران : ٧١ .
(٨) سورة آل عمران : ٩٩ .
(٩) سورة الاسراء : ٩٤ .
(١٠) سورة النساء : ٣٩ .
(١١) سورة التكوير : ٢٦ :

من الإيمان ولم يعطهم قوة السجود ثم قال : « مالهم لايؤمنون . وإذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون »[1] ، وأنه فعل بعباده الإعراض عن التذكرة ثم قال : « فما لهم عن التذكرة معرضين »[2] وأنه يمكر بأوليائه المحسنين ، وينظر لأعدائه المشركين .

لأن العبد عندهم مجتهد في طاعته ، فبينما هو كذلك وعلى ذلك إذ خلق فيه الكفر ، وأراد له الشرك ، ونقله مما يحب إلى مايسخط ، وبينما هو[3] مجتهد في الكفر به ، والتكذيب له ، إذنقله من الكفر إلى الإيمان ، وهو عندهم لعدوه أنظر منه لوليه ، فليس يثق[4] وليه بولايته ، ولا[5] يرهب عدوه من عداوته .

وإنه يقول للرسل : أهدوا إلى الحق من عنه قد أضللت ، وانهوا عبادي عن أن يفعلوا ماشئت وأردت ، وامروهم أن يرضوا بما قضيت وقدّرت ، لأنه عندهم شاء الكفر ، وأراد الفجور وقضى الجور ، وقدّر الخيانة .

ولولا كراهة الاكثار لأتينا على وصف مذهبهم ، وفيما ذكرناه كفاية في تقبيح[6] مذهبهم ، والحمد لله على قوة الحق وضعف الباطل .

---

(١) سورة الإنشقاق : ٢٠ - ٢١ .
(٢) سورة المدثر : ٤٩ .
(٣) في مط : وبينما عبد .
(٤) في أ : فليس يبقى .
(٥) في مط : وليس .
(٦) في هامش أ: في تنقيح خ ل .

فصل

[الخير والشر ومعنى نسبتهما اليه تعالى] [1]

ان سأل سائل فقال : أتقولون إن الخير والشر من الله تعالى ؟

قيل له : إن أردت أن من الله تعالى العافية والبلاء والفقر والغناء ، والصحة والسقم ، والخصب والجدب ، والشدة والرخاء ، فكل هذا من الله تعالى ، وقد تسمى شدائد الدنيا شراً وهي في الحقيقة حكمة وصواب وحق وعدل . وإن أردت أن من الله الفجور والفسوق ، والكذب والغرور والظلم والكفر والفواحش والقبائح فمعاذ الله أن نقول ذلك ! بل الظلم من الظالمين والكذب من الكاذبين ، والفجور من الفاجرين ، والشرك من المشركين ، والعدل والإنصاف من رب العالمين :

وقد أكد الله تعالى ماقلنا فقال : « ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم » [2] ولم يقل : من عند خالقهم ، فعلمنا أن المعصية من عباده ، وليس هي من قبله ، وقال عزوجل : « وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون » [3] فعلمنا أن الكذب والكفر ليس من عند الله ، وإذا لم يكن من عند الله فليس من فعله ولا من صنعه .

وقال عز وجل : « لبئسما قدَّمت لهم انفسهم » [4] وما قدمته [لهم] [5] أنفسهم لم يقدمه لهم ربهم .

---

(١) الزيادة من مط .

(٢) سورة البقرة : ١٠٩ .

(٣) سورة آل عمران : ٧٨ .

(٤) سورة المائدة : ٨٠.

(٥) الزيادة من مط .

وقال : « فطوّعت له نفسه قتل أخيه » [1] ولم يقل حمله على القتل ربه ، ولا ألجأ اليه خالقه .

وقال : « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً . لقد جئتم شيئاً إداً. تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً . أن دعوا للرحمن ولداً » [2] فأخبر [3] أنهم جاءوا بالإدّ ، ولم يقل أنا جئت به فأدخلته قلوبهم ، وقال «أن دعوا للرحمن ولداً » فأخبر أنهم [هم] [4] ادعوا الولد ولم يدعه لنفسه.

ثم أخبر جلّ وعز عن الأنبياء عليهم السلام لما عوتبوا على ترك مندوب وما اشبهه اضافة ماظاهره الإخلال بالأفضل من الأفعال إلى أنفسها ولم تضفها إلى خالقها ، فقال آدم وحواء عليهما السلام : « ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » [5] وقال يعقوب لبنيه : « بل سوّلت لكم أنفسكم » [6] ولم يقل سوّل لكم ربكم .

وقال بنو يعقوب : « يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين » [7] ولم يقولوا إن خطايانا من ربنا .

وقال : « وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه — بمعنى ان نضيق عليه كما قال : يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني يضيق وقال ومن قدر عليه رزقه أي ضيق — فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين » [8] فأقر على نفسه ولم يضف الى ربه .

(١) سورة المائدة : ٣٠ . (٢) سورة مريم : ٨٨ - ٩١ .
(٣) في أ : فأخبرهم : (٤) الزيادة من أ .
(٥) سورة الاعراف : ٢٣ . (٦) سورة يوسف : ١٨ .
(٧) سورة يوسف : ٩٧ . (٨) سورة الأنبياء : ٨٧ .

وقال : « ربِّ إني ظلمت نفسي » [1] من بعد ماقال : « فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان » [2] ولم يقل من عمل الرحمن
وقال يوسف عليه السلام : « من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي » [3].

وقال الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وآله : « قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وان اهتديت فبما يوحي إلي ربي » [4] :

وقال فتى موسى عليه السلام : « إني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان » [5] ولم يقل وما انسانيه إلا الرحمن . فما قالوه موافق لقول الله سبحانه : « يا أيها الـذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدَّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » [6] فقال رجس من عمـل الشيطان ، ولم يقل رجس من عمل الرحمن ، وقال : « إنما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء » فعلمنا أن ما أراد الشيطان غير ما أراد الرحمن ، وأخبر أن الشيطان يصدُّ عن ذكر الله ولم يقل الرحمن يصد عن ذكر الله .

وقال: « انما النجوى من الشيطان » [7] ولم يقل من الرحمن .

وقال : « لايفتننكم الشيطان كما اخرج أبويكم من الجنة » [8] يعني بوسوسته وخديعته .

---

(١) سورة القصص : ١٦ . (٢) سورة القصص : ١٥ :
(٣) سورة يوسف : ١٠٠ . (٤) سورة سبأ : ٥٠ .
(٥) سورة الكهف : ٦٣ . (٦) سورة المائدة : ٦٠ - ٦١ .
(٧) سورة المجادلة : ١٠ . (٨) سورة الأعراف : ٢٧ :

وقال عز وجـل : « لاتعبدوا الشيطان إنه لـكم عدو مبين . وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم . ولقد ضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون » [1] فأخبر أن الشيطان أضلهم عن الحق .

وقال : « إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً » [2] وقال تعالى : « وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وماكان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم » [3] ولم يقل فلا تلوموني ولوموا ربكم ، لأنه افسدني وافسدكم ، وكفرني وكفركم .

و [لو] [4] قصدنا الى الاخبار عما أضافـه الله تعالى الى الشيطان من معاصي العباد لكثر ذلك وطال به الكتاب .

فصل

[الفرق بين صنع الخالق والمخلوق ودلالة الكتاب] [5]

فإن قال قائل : ما الدليل على أن الله تعالى لم يفعل أفعال عباده ، وان فعل العبد غير فعل رب العالمين ؟

قيل له : الدليل على ذلك من كتاب الله تعالى ، ومن أخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن إجماع الامة ، ومن حجج العقول :

فأما مايدلُّ على ذلك من كتاب الله فقوله سبحانه وتعالى : « صنع

(١) سورة يس : ٦٠ - ٦٢ .
(٢) سورة الاسراء : ٥٣ .
(٣) سورة ابراهيم : ٢٢ .
(٤) الزيادة من أ .
(٥) الزيادة من مط .

الله الذي أتقن كل شيء » [1] فلما لم يكن الكفر بمتقن ولا بمحكم علمنا أنه ليس من صنعه :

وقال تعالى : « ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولاحام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون » [2] وقد علمنا ان الله تعالى قد جعل وخلق الشاة والبعير ، وإنما ينفي عن نفسه ماجعلوه من الشق الذي فعلوه في آذان انعامهم ، فعلمنا أن مانفاه الله تعالى عن نفسه هو كفر العباد وفعلهم ،

وقال تعالى : « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » [3] فلما كان الكفر متفاوتاً متناقضاً علمنا انه ليس [من خلق الله تعالى ، وقال تعالى « الذى أحسن كل شيء خلقه » [4] ، فلما لم يكن الكفر بحسن علمنا انه ليس] [5] من خلقه ولا من فعله ، لأن خلق الله هو فعله ، وقد قال : انه « يخلق مايشاء » [6] وقال : « كذلك الله يفعل مايشاء » [7] وأخبر أن خلقه وفعله واحد .

فان قال قائل منهم : إن الكفر حسن لأن الله خلقه .

قيل له : لو جاز أن يكون حسناً لأن الله تعالى خلقه ، جاز أن يكون حقاً وصدقاً وعدلا وصلاحاً ، [فلما لم يجز أن يكون الكفر حقاً ولا صدقاً ولا عدلاً ولا صلاحاً] [8] لم يجز أن يكون حسناً ، ولو كان الكفر حسناً كان الكافر محسناً إذ فعل حسناً ، فلما كان الكافر مسيئاً

---

(١) سورة النمل : ٨٨ . (٢) سورة المائدة : ١٠٣ .
(٣) سورة الملك : ٣ . (٤) سورة سجدة : ٧ .
(٥) الزيادة من أ . (٦) سورة آل عمران : ٤٧ .
(٧) سورة آل عمران : ٤٠ . (٨) الزيادة من أ .

مفسداً كاذباً جائراً مبطلا ، علمنا [1] ان فعله ليس بحسن ولا حق ولا صدق ولا عدل ولا صلاح .

وقال الله تعالى : « إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان » [2] ولو كان فاعلا لها لكان قد أنزل بها أعظم السلطان والحجة .

وقال : « واتخذوا من دون الله إلهاً » [3] تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقال : « وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وما جعل أدعيائكم أبنائكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » [4] والله قد جعل الأجسام كلها ، وإنما نفى عن نفسه أن يكون قولهم لأزواجهم وقولهم لأولادهم أنتن أمهاتنا وأنتم أبناؤنا ، ثم اخبر انه لايقول إلا حقاً وان الكذب ليس من قوله ولا من فعله .

وقال عز من قائل : « وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون » [5] فأخبر أنهم جعلوا له شركاء ، ولو كان الجاعل لما كان قد جعل لنفسه شركاء ، ولا يخلو من أن يكون هو جعل لنفسه شركاء دونهم ، او يكونوا [6] هم الذين جعلوا له شركاء ، وهو عن ذلك متعال لم يفعله ولم يجعله ، ولو كان هو الذي جعل لنفسه شركاء دون عباده أو إن كان [7] هو جعل ماجعلوا

---

(١) في مط : علما .

(٢) سورة النجم : ٢٣ .

(٣) سورة مريم : ٨١ .

(٤) سورة الأحزاب : ٤ .

(٥) سورة الأنعام : ١٠٠ .

(٦) في مط : أو يكون .

(٧) في أ : وإن كان .

كان قد جعل لنفسه شركاء كما جعل ذلك عباده، فكان قد شارك عباده في شركهم وكفرهم، ومن جعل لله شريكاً فقد اشرك بالله غيره [وقال] [1] « ويجعلون لله البنات » [2] وقال: « ويجعلون لله ما يكرهون » [3] وقال: « وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله » [4] فلو كان جاعلاً ماجعلوه من الكفر كان قد جعل لنفسه مايكرهه، وجعل لنفسه انداداً، جل الله عن ذلك.

وقال عز وجل: « واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا أجعلنا آلهة من دون الرحمن يعبدون » [5] فنفى أن يكون جعل من دونه آلهة، فعلمنا أن اتخاذ الإله من دون الله لم يجعله الله.

وقال عز وجل: « إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحميَّة حميَّة الجاهلية » [6] فلو كان هو الذي جعل الحمية في قلوبهم لم يقل هم الذين جعلوا الحمية.

فإن قالوا: ما أنكرت أن يجعل ماجعل العباد.

قيل لهم [7]: لو جاز أن يكون جاعلا لما جعله العباد لكان عادلا بعدل العباد، ومصلحاً بصلاح العباد، وجائراً بجور العباد، ومفسداً بفساد العباد، وكاذباً بكذبهم، إذ كان لكذبهم وفسادهم وجورهم فاعلا، فلما لم يجز ما ذكرناه علمنا أن الله لم يجعل لما جعله العباد.

وقال تعالى: « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما

---

(1) الزيادة من أ.
(2) سورة النحل: ٥٧.
(3) سورة النحل: ٦٢.
(4) سورة ابراهيم: ٣٠.
(5) سورة الزخرف: ٦٥.
(6) سورة الفتح: ٢٦.
(7) في أ: قيل له.

يكسبون »[1] فنفى عن نفسه أن يكون كفرهم من عنده تعالى .

وقال عز وجل : « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك »[2] وقال تعالى : « انهم يكيدون كيداً »[3] فلو كان الله فعل الكيد والمكر بالنبي صلى الله عليه وآله كان قد مكر بنبيه وكاده ، تعالى الله عن ذلك .

وقال تعالى : « الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك »[4] ولو كان اتخاذهم الولد فعل الله كان قد اتخذ ولداً ، ولو كان قد فعل عباده فعله كان له شريك في الملك ، تعالى عن ذلك .

ولو قصدنا إلى استقصاء مايدل على مذهبنا في أن الله لم يفعل الظلم والجور والكذب وسائر أفعال العباد لطال بذلك الكتاب ، وفيما ذكرناه كفاية ، والحمد لله رب العالمين .

[الأخبار المانعة من نسبة الشر الى الله تعالى][5]

وأما ماروي عن النبي « ص » من إضافة الحسن الى الله والسوء الى العباد ، ماروي عن أبي امامة الباهلي[6] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اضمنوا لي أشياء أضمن لكم الجنة . قالوا : وما هي

---

(١) سورة البقرة : ٧٩ .
(٢) سورة الأنفال : ٣٠ .
(٣) سورة الطارق : ١٥ .
(٤) سورة الأسراء : ١١١ .
(٥) الزيادة من مط .
(٦) ابو امامة الباهلي واسمه صدى بن عجلان الصحابي ، كان من المشاهير سكن مصر ثم حمص وبها توفي سنة ٨١ هـ وهو آخر من توفى من الصحابة بالشام . (أسد الغابة : ٥ / ١٣٨)

يارسول الله ؟ قال : لاتظلموا عند قسمة مواريثكم ، ولا تجبنوا عند قتال عدوكم ، وامنعوا ظالمكم من مظلومكم ، وانصفوا الناس من أنفسكم ، ولا تغلوا غنائمكم ، ولا تحملوا على الله ذنوبكم .

وروي عن أبي هريرة [1] أنه قال : قام رجل من خثعم إلى النبي فقال : يارسول الله متى يرحم الله عباده ؟ قال « ص » : يرحم الله عباده مالم يعملوا بالمعاصي ثم يقولون هي من الله .

وروي عن النبي « ص » انه قال : خمسة لاتطفأ نيرانهم ولا تموت ديدانهم : رجل أشرك بالله ، ورجل عق والديه ، ورجل سعى بأخيه الى سلطان جائر فقتله ، ورجل قتل نفساً بغير نفس ، ورجل حمل على الله ذنبه .

وروي عنه (ص) أنه قال : أتاني جبرئيل فقال : يامحمد خصلتان لاينفع معهما صوم ولا صلاة : الإشراك بالله ، وأن يزعم عبد أن الله يجبره على معصيته .

ومن ذلك ماروي عن ابن مسعود [2]

(١) اختلفوا في اسمه كثيراً ، كان من كبار وضاعي الحديث طمعاً فيما بيد معاوية ، وكان يلعب بالشطرنج ويقامر ، وكانت عائشة تتهمه بوضع الاحاديث وترد ماروواه ، واستعمله عمر على البحرين فجمع أموالا كثيرة (الكنى والألقاب ج ١ / ١٧٢) .

(٢) ابو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي حليف بني زهرة ، كان اسلامه قديماً ،وكان سببه أنه كان يرعى غنما فمر به الرسول (ص) واخذ شاة حائلا من تلك الغنم فدرت عليه لبنا غزيراً ، بعثه عمر الى الكوفة مع عمار بن ياسر وقال فيه « كنيف ملىء علما » ، مات بالمدينة سنة ٣٢ ودفن بالبقيع وكان عمره حين مات بضع وستين سنة (الاستيعاب : ٣ / ٩٨٧) .

أنه سئل عن [1] امرأة توفي عنها زوجها ولم يفرض لها صداقاً ؟ فقال : أقول فيها برأيي ، فان يكن صواباً فمن الله وان يكن خطأ فمني ومن الشيطان .

وروي عن أبي هريرة انه قال : كان رسول الله (ص) إذا قام بالليل الى الصلاة قال : لبيك وسعديك ، الخير في يديك ، والشر ليس اليك .

وروي عن حذيفة [2] عن النبي (ص) انه قال : إذا دعي بي يوم القيامة أقوم فأقول : لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس اليك .

وروي عن أنس [3] انه قال : قال رسول الله (ص) : سيكون في هذه الأمة أقوام يعملون بالمعاصي ويزعمون أنها من الله ، فإذا رأيتموهم فكذبوهم ثم كذبوهم .

وما أشبه هذه الأخبار كثير ، ولو قصدنا الى ذكرها لطال بها الكتاب

---

(١) في مط : وروي عن ابن مسعود انه قال : سألت عن . . .

(٢) حذيفة بن اليمان العبسي ، عد من الأركان الأربعة ، ذكر أنه لما حضرته الوفاة قال لابنته : أية ساعة هذه ؟ قالت : آخر الليل . قال : الحمد لله الذي بلغني هذا المبلغ ولم أوال ظالماً على صاحب حق ولم اعاد صاحب حق . سكن الكوفة ومات بالمدائن بعد بيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام (منتهى المقال ص ٨٨) .

(٣) أنس بن مالك بن النضر الانصاري الخزرجي النجاري ، خادم رسول الله (ص) ، كان من المكثرين في الرواية ، وتوفي بالبصرة سنة ٩٣ ، وقيل في تاريخ وفاته غير ذلك (أسد الغابة : ١ / ١٢٧) .

وإنما نذكر من الباب الذي ينبه به على الحق .

[الأدلة العقلية على تنزيه الله من خلق الشرور] [1]

وأما حجة القول على أن الله لم يفعل أفعال العباد ، وأن فعل الخلق غير فعل [2] رب العالمين ، فهو أنا وجدنا من أفعال العباد ماهو ظلم وعبث وفساد ، وفاعل الظلم ظالم ، وفاعل العبث عابث ، وفاعل الفساد مفسد ، فلما لم يجز أن يكون الله مفسداً علمنا أنه لم يفعل [3] الظلم ولا العبث ولا الفساد .

وأيضاً فإن أفعالهم التي هي محكمة [منها] [4] ماهو طاعة وخضوع وفاعل الطاعة مطيع ، وفاعل الخضوع خاضع ، فلما يجز أن يكون الله مطيعاً ولا خاضعاً علمنا أنه لايفعل الطاعة ولا الخضوع .

وأيضاً فإن الله لايجوز أن يعذب العباد على فعله ، ولا يعاقبهم على صنعه ، ولا يأمرهم بأن يفعلوا [ما] [5] خلقه ، فلما عذبهم على الكفر ، وعاقبهم على الظلم ، وأمرهم بأن يفعلوا الإيمان ، علمنا أن الكفر والظلم والإيمان ليست من فعل الله ولا من صنعه .

ومما يبين ماقلنا : أنه لايجوز أن يعذب العباد على طولهم وقصرهم وألوانهم وصورهم ، لأن هذه الأمور فعله وخلقه فيهم ، فلو كان الكفر والفجور فعل الله لم يجز أن يعذبهم على ذلك ولا ينهاهم [عنه] [6] ولا يأمرهم بخلافه ، فلما أمر الله العباد بالإيمان ونهاهم

---

(١) العنوان من مط .
(٢) في أ : غير خلق .
(٣) أ : لايفعل .
(٤) الزيادة من مط .
(٥) الزيادة : من مط .
(٦) الزيادة من أ .

عن الكفر ولم يجز أن يأمرهم بأن يفعلوا طولهم وقصرهم وألوانهم وصورهم علمنا أن هذه الأمور فعل الله، وأن الطاعة والمعصية والإيمان والكفر فعل العبـاد .

وأيضاً فلو جاز أن يفعل العبد فعل ربه ، وان يكسب خلق الهه - كما قال مخالفونا ان العباد فعلوا فعل ربهم - لجاز أن يكون كلامهم كلام الله ، فيكون كلام العبد كلام ربه كما كان كسب العبد [1] فعل خالقه ، فلما لم يجز أن يكون كلام العبد كلام خالقه لم يجز أن يكون فعل العبد فعل الهه ، ولا كسب العبد صنع خالقه ، فثبت أن أفعال العباد غير فعل رب العالمين .

وأيضا فإنه لايخلو الظلم في قولهم وفعلهم من أن يكون بخلقه تعالى [فيكون الظالم لا ظالماً ومصيباً بذلك لامخطئاً] [2] فلو كان الله بخلقه الظلم عادلا [أيضاً] [3] كان الظلم عدلا وصواباً ، لأنه لايجوز أن يصيب الا بفعل الصواب ، ولا يعدل إلا بفعل العدل ، ولو كان الكفر والظلم صواباً وعدلا كان الكافر والظالم مصيبين عادلين [بالظلم] [4] ولا مصيب بفعل [الكفر والظلم] [5] ، فثبت أن الله لايجوز أن يفعل الظلم والخطأ والفسوق والفجور بوجه من الوجوه ولا بسبب من الأسباب .

وأيضا فلو جاز أن يفعل الله الظلم ولا يكون ظالماً لجاز أن يخبر

---

(١) في مط : كما أن كسب العباد .

(٢) هذه الجملة جاءت في مط هكذا : بخلقه الظلم عادلا أو ظالماً أو مصيباً بذلك أو مخطئاً .

(٣) الزيادة من أ .

(٤) الزيادة من أ .

(٥) الزيادة من مط .

بالكذب [بقوله] [1] ولا يكون كاذباً ، فلما لم يجز أن يكون الله يقول الكذب ـ لان القائل المخبر بالكذب كاذب ـ كذلك لم يجز أن يفعل الظلم لأن الفاعل للظلم ظالم ، فلما لم يجز أن يكون عز وجل ظالما لم يجز أن يكون للظلم فاعلا ، فتثبت [2] ان الظلم ليس من فعل الله ولا الكذب من قوله سبحانه .

وايضاً فإن الله سخط الكفر وعابه وذم فاعله ، ولا يجوز على الحكيم أن يذم العباد على فعل ولا يعيب صنعه ولا يسخط ، بل يجب أن يرضى بفعله ، لأن من فعل مالا يرضى به فهو غير حكيم ، ومن يعيب ماصنع ويصنع مايعيب فهو معيب ، والله يتعالى عن هذه الصفات علواً كبيراً ، فلما لم يجز على ربنا أن يعيب ما صنع و [لا] [3] يسخط مايفعل علمنا أن أفعال [4] العباد غير فعل رب العالمين .

وأيضاً فان الله قال في كتابه « ولا يرضى لعباده الكفر » [5] وقال « ذلك بأنهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه » [6] فالله أحكم وأعدل من أن يسخط في فعله ، ويغضب من خلقه ، ويفعل مالا يرضى به .

وأيضاً فإن الفاعل للفاحشة والظلم والكفر أكثر استحقاقاً للذم من الآمر بالفاحشة أو الكفر ، فلما كان الآمر بالكفر والظلم والفواحش غير حكيم كان الفاعل لذلك والمحدث له غير حكيم ، فلما كان الله أحكم الحاكمين علمنا أنه غير فاعل للكفر ، ولا محدث للظلم ، ولا مبتدع للقبائح ، ولا

---

(١) الزيادة من مط .　　(٢) في أ : ثبت .

(٣) الزيادة من أ .　　(٤) في مط : أن فعل .

(٥) سورة الزمر : ٧ .　　(٦) سورة محمد : ٢٨ .

مخترع للفواحش ، وثبت أن الظلم فعل الظالمين ، والفساد فعل المفسدين ، والكذب فعل الكاذبين وليس شيء من ذلك فعل رب العالمين .

وأيضاً فانه لاتخلو [1] أفعال العباد من أن تكون كلها فعل رب العالمين لافاعل لها غيره ، أو أن تكون فعله وفعل خلقه وكسبهم ، أوان تكون فعل العباد وليست بفعل الله ، فلما لم يجز أن يكون الله تعالى منفرداً بالأفعال ولا فاعل لها غيره لأنه لو كان كذلك كان لايجوز إرسال الرسل وإنزال الكتب ولبطل الامر والنهي ، والوعد والوعيد ، والحمد والذم ، لأنه لافعل للعباد ، ولوجب أيضاً أن يكون هو الفاعل لشتم نفسه ، وللعن أنبيائه ، وللفسوق والفجور ، والكذب والظلم ، والعبث والفساد ، فلو [2] كان ذلك منه وحده كان هو الظالم [والكاذب] [3] والعابث والمفسد ، إذ كان لافاعل للظلم والعبث والكذب والفساد غيره ، ولو كان فاعلاً لما فعله العباد كان هو الفاعل للظلم الذي فعله العباد والكذب والعبث والفساد وكان يجب أن يكون ظالماً كما انهم ظالمون ، وكان عابثاً مفسداً إذ لم يكونوا [4] الفاعلين لهذه الأمور دونه ، ولا هو الفاعل لها دونهم .

فلما بطل هذان الوجهان ثبت الثالث ، وهو أن هذه الأفعال عمل العباد وكسبهم ، وانها ليست من فعل رب العالمين ولا صنعه ، ولو قصدنا إلى استقصاء أدلة أهل العدل في هذا الباب لطال بذلك الكتاب .

---

(١) في أ : لايخلو .
(٢) في أ : ولو .
(٣) الزيادة من أ .
(٤) في مط : إذا لم يكونوا .

[فصل]

[اللوازم الفاسدة للقول بخلق افعال العباد] [1]

ومما يسأل عنه ممن زعم أن فعل العباد هو فعل الله وخالقه أن يقال لهم أليس من قولكم [2] ان الله محسن إلى عباده المؤمنين ، إذ خلق فيهم الإيمان وبين [لهم] [3] بفعل الإيمان ؟

فان قالوا : لانقول ذلك ، زعموا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يحسن في تبليغ الرسالة ، وكفى بهذا خزياً لهم .

فان قالوا : إن الإنسان المؤمن محسن بفعل الإيمان وكسبه . يقال لهم : فقد كان إحسان واحد من محسنَين بفعل الإيمان وكسبه [4] من الله ومن العبد .

فإن قالوا : بذلك . قيل لهم : فما أنكرتم أن تكون اساءة واحدة من مسيئين ، فيكون الله عز وجل مسيئاً بما فعل من الإساءة التي العبد بها مسيء ، كما كان محسناً بالإحسان الذي به العبد محسن .

فان قالوا : انه مسيء باساءة [العباد] [5] لزمهم أن يكون ظالماً بظلمهم ، وكاذباً بكذبهم ، ومفسداً بفسادهم ، كما كان مسيئاً باساءتهم

فان قالوا : لايجوز أن تكون اساءة واحدة بين مسيئين . قيل لهم : فما أنكرتم أن لايكون إحسان واحد بين محسنين ، ولا يجدون من هذا الكلام مخرجا ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) العنوان زيد من مط . (٢) في أ : اه أليس من قولكم .

(٣) الزيادة من أ ، وفوقها حرف « ظ » .

(٤) اضاف في أ : من محسنين . (٥) الزيادة من أ .

وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها ، ويقال لهم : أليس الله نافعاً للمؤمنين بما خلق فيهم من الإيمان . فمن قولهم : نعم . فيقال لهم : والعبد نافع لنفسه بما فعل من الإيمان . فاذا قالوا : نعم . قيل لهم : قد ثبت أن منفعة واحدة من نافعين هي منفعة من الله بالعبد بأن خلقها ، ومنفعة من العبد بأن اكتسبها .

فان قالوا : نعم . قيل لهم : وكذلك الكفر قد ضرّ الله به الكفار بأن خلقه ، وضرّ الكافر نفسه بأن اكتسب الكفر .

فان قالوا : نعم [1]. قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون الله قد أفسد الكافر بأن خلق فساده ، ويكون الكافر هو أفسد نفسه بأن اكتسب الفساد .

فان قالوا : نعم . قيل : فما انكرتم أن يكون الكافر جائراً على نفسه بما اكتسب من الجور [2]. [فان قالوا : جائر . قيل لهم : فما انكرتم أن يكون الله جائراً على نفسه بما فعل من الجور] [3] أيضاً كما قلتم في الكافر ، فإن قالوا جائر خرجوا من دين أهل القبلة ، وإن قالوا : لايجوز أن يكون الله جائراً بما فعله العباد من الجور . قيل لهم : وكذلك ما انكرتم أن لايكون [4] مفسداً بفسادهم ، ولا ضاراً لهم بضررهم .

فان قالوا بذلك ، قيل لهم : فما أنكرتم أن لايكون فاعلاً لما فعلوه من الكفر والفساد وأن يكون فعله غير فعلهم . وكلما اعتلوا بعلة [في هذا الكلام] [5] عورضوا بمثلها .

---

(١) في مط : فان قالوها .
(٢) في مط : من [فعل خ] الجور .
(٣) الزيادة من أ .
(٤) في أ : أن يكون .
(٥) الزيادة من أ .

ويقال لهم : أليس الله نافعا للعباد [المؤمنين] [1] بما خلق فيهم من الإيمان . فمن قولهم : نعم : فيقال . وكذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نفعهم بما دعاهم إلى الإيمان .

فإن أبوا ذلك وزعموا أن النبي مانفع احداً ولا احسن الى احد .

قيل لهم : فما أنكرتم أن لايجب على المؤمنين شكره ولا حمده ، إذ كان غير نافع لهم ولا محسن اليهم .

وإن قالوا : إن النبي (ص) قد نفعهم بدعائه إياهم إلى الإيمان .

قيل لهم : أفليس الله بما خلق فيهم من الإيمان أنفع لهم من النبي (ص) إذ دعاهم الى الإيمان ، فلا بدلهم من نعم ، لأن النبي (ص) قد يجوز أن يدعوهم الى الإيمان ، فـلا بد لهم من نعم يجيبون اليه [2] ولا يجوز أن يخلق الله فيهم الإيمان إلا وهم مؤمنون .

فيقال: أفليس قد ضرَّ الله الكافر في قولهم بما خلق فيه من الكفر ؟ فمن قولهم : نعم . [يقال لهم : وكذلك ابليس قد ضرهم بدعائه] [3] إياهم الى الكفر ، فلا بد من نعم وإلالزمهم أن لايكون إبليس وسوس إلى أحـد بمعصيته ولا يجب ان يذم على شيء من افعاله ، وردوا أيضاً مع ذلك كتاب الله ، لأن الله يقول : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً » [4].

---

(١) الزيادة من أ .

(٢) في أ : فلا يجيبون اليه.

(٣) في مط : فمن قولهم نعم افليس قد ضرهم ابليس بدعائه .

(٤) سورة البقرة : ٢٦٨ .

ويقال لهم : فأيما اعظم المضرة التي فعلها الله تعالى بالكافر من خلق الكفر [فيه] [1] أو المضرة التى فعلها إبليس من دعائه إياهم إلى الكفر ؟

فإن قالوا : المضرة التي فعلها بهم إبليس من دعائه إياهم إلى الكفر أعظم قيل لهم : فما أنكرتم أن تكون منفعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للمؤمنين أعظم بدعائه إياهم إلى الإيمان .

فإن قالوا : إن المضرة التي خلقها الله فيهم أعظم . قيل لهم : فما أنكرتم أن تكون مضرة الله للكافرين فى خلق الكفر فيهم أعظم من مضرة إبليس بدعائه اياهم الى الكفر .

فإن قالوا ذلك [2] قيل لهم : فقد وجب عليكم ان الحكم أضر على الكافرين من إبليس . فاذا قالوا : إنه أضر عليهم من ابليس . قيل لهم فما انكرتم ان يكون شراً عليهم من ابليس كما كان أضر عليهم من ابليس كما قلتم : ان الله انفع للمؤمنين من النبي وخير لهم من النبى (ص) .

فإن قالوا:ان الههم شر من ابليس فقد خرجوا من دين أهل القبلة ، وان أبوا ذلك لم يجدوا منه مخرجاً مع التمسك بقولهم .

ويقال لهم : أتقولون إن الله قد ضرّ الكفار في دينهم ؟ فمن قولهم : نعم . فيقال لهم : فما أنكرتم ان يغرهم [3] فى دينهم كما انه ضرهم في دينهم . فان قالوا : إن الله لايغر [4] العباد في أديانهم . قيل لهم : والله لايضرهم في إيمانهم .

وان قالوا : ان الله يغرهم [5] في أديانهم . قيل لهم : فما أنكرتم

---

(١) الزيادة من أ .
(٢) في مط : فان قالوا بذلك .
(٣) في مط : أن يعذبهم .
(٤) في مط :لايضر .
(٥) في مط : يضرهم .

أن يموّه عليهم ويخدعهم عن أديانهم ؟ فان قالوا بذلك شتموا الله أعظم الشتيمة . وإن قالوا : إن الله لايخدع أحداً عن دينه ولا يغر احداً عن دينه . قيل لهم : فما أنكرتم أن لايجوز أن يضره في دينه . وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها .

ويقال لهم : أتقولون ان الله ضر النصراني في دينه إذ جعله نصرانياً وخلق فيه الكفر ، وكذلك اليهودي ؟ فان قالوا : نعم - وهو قولهم - فيقال لهم : فما أنكرتم ان يفسده [1] في دينه فيكون مفسداً لعباده في أديانهم . فان قالوا: انه مفسدلهم في أديانهم. قيل لهم: أفيجب عليهم شكره وهو في قولهم مفسد لهم؟ فان قالوا: لايجب أن يُشكر صح كفرهم وان قالوا: إنه يجب أن يُشكر . قيل لهم : على ماذا يُشكر ؟ فان قالوا: على الكفر فقد افتضحوا وبان خزيهم. وان قالوا: انه يشكر [على] [2] ماخلق فيهم من الصحة والسلامة . قيل لهم : أوليس هذه الأمور عندكم قد فعلها مضرة عليهم في دينهم ليكفروا ويصيروا الى النار ، فكيف يكون مابه هلاكهم نعمة عليهم ؟ ! فاذا جاز ذلك يكون من أطعمني خبيصاً مسموماً ليقتلني به منعماً علي ومحسناً [إلي] [2] فان قالوا : لايكون محسناً الى الكافر بهذه الأمور اذ انما فعلها فيهم ليكفروا ويصيروا الى النار ، فلا بد لهم ان لايروا الشكر لله على العباد واجباً ، فيخرجوا من دين أهل القبلة .

ويقال لهم : أليس الله بفعله للصواب مصيباً ؟ فمن قولهم : نعم يقال لهم : فإذا زعمتم أنه قد جعل الخطأ فما انكرتم أن يكون مخطئاً ؟ فإن قالوا : إنه مخطيء ، بان كفرهم ، وان قالوا : لايكون بفعله للخطأ مخطئاً . قيل لهم : فما أنكرتم ان لا يكون بفعله للصواب مصيباً كما لم

(١) في مط : أن يفسد.   (٢) الزيادات من أ.

يكن بفعله للخطأ مخطئاً ؟ وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها .

ويقال لهم : أليس الله عز وجل مصلحاً للمؤمنين بما خلق فيهم من الصلاح ؟ فاذا قالوا : نعم . قيـل لهم : فما أنكرتم أن يكون مفسداً للكافرين بما خلق فيهم من الكفر والفساد ؟ فإن قالوا بذلك . قيل لهم : فما انكرتم أن يكون ظالماً بما خلق فيهم من الظلم ؟ فان أبوا ذلك يسألوا الفصل بينهما ولن يجدوه ، وان قالوا : إنه ظالم ، فقد وضح شتمهم الله تعالى .

ويقال لهم : أتقولون ان الله مصيب عادل في جميع ماخلق ؟ فاذا قالوا : نعم . قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون جميع ماخلق صواباً وعدلا ان كان عادلا مصيباً في خلقه [1]. فإن قالوا : إن جميع ماخلق عدل وصواب . قيل لهم : أفليس من قولكم ان الظلم والكفر والخطأ عدل وصواب. فان قالوا: إن ذلك عدل وصواب . قيل لهم : فما أنكرتم ان يكون [ذلك] [2] حقاً وصلاحاً .

فان قالوا : بذلك فقد وضح فساد قولهم ولزمهم أن يكون الكافر عادلا بفعله الكفر وان يكون مصيباً محقاً [3] مصلحا ان كان فعله عدلا وصواباً وحقاً وصلاحاً . فان أبوا أن يكون الكفر صلاحاً وصواباً وحقاً وعدلا قيل لهم : فما انكرتم ان لايكون بفعله الجور عادلا ، ولا بفعله الخطأ مصيباً ولا بفعله الفسادمصلحاً إذ فان قالوا بذلك ، قيل لهم : فما أنكرتم ان لايكون الخطأ والجور من فعله إذ كان مصيباً عادلا في جميع فعله . فان قالوا بذلك، تركوا قولهم وصاروا إلى قول أهل الحق : ان الله لايفعل خطأ ولا جوراً ولا باطلا ولا فساداً.

ويقال لهم : أتقولون ان الله يفعل الظـلم ولا يكون ظالماً ؟ فمن

---

(١) في مط : بخلقه . (٢) الزيادة من مط .

(٣) في مط : حقاً .

قولهم : نعم . يقال [لهم] : [1] فما الفرق بينكم وبين من قال إنه ظالم وانه لم يفعل ظلماً ؟ وان قالوا : [إنه] [2] لايجوز أن يكون ظالماً إلا من فعل ظلماً قيل لهم : وكذلك لايجوز أن يكون للظلم فاعلا ولا يكون ظالماً ، بل يجب أن يكون من كان للظلم فاعلا أن يكون ظالماً .

ويقال لهم : أليس من قولكم ان الله خلق الكفر فى الكافرين ثم عذبهم عليه ؟ فاذا قالوا : نعم . يقال لهم : فما أنكرتم أن يضطرهم الى الكفر ثم يعذبهم عليه ؟ فان قالوا : لو اضطرهم الى الكفر لم يكونوا مأمورين ولا منهيين ، لأنه لايجوز أن يؤمروا ولا ينهوا بما اضطرهم اليه . قيل لهم : ولوكان الكفر قد خلق فيهم لم يكونوا مأمورين ولا منهيين لأنه لا يجوز أن يؤمروا وينهوا بما خلق الله فيهم ، وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها .

وإن قالوا : إن الله اضطرهم الى الكفر . قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون [قد] [3] حملهم عليه واجبرهم [عليه] [3] واكرههم . فان قالوا : بذلك [فقد] [3] صاروا إلى قول جهم انه لافعل للعباد وانهم كالحجارة تقلب وان لم تفعل شيئاً كالابواب تفتح وتغلق وان لم تفعل شيئاً ، ولزمهم مالزم جهماً .

فإن صاروا الى قول جهم ، قيل لهم : إذا جاز عندكم أن يعذب الله العباد على مالم يكن منهم بل يعذبهم على ما اضطرهم اليه وحملهم [عليه] [3] فما أنكرتم أن يعذبهم على ألوانهم وصورهم وطولهم وقصرهم .

---

(١) الزيادة من مط . (٢) الزيادة من أ .

(٣) الزيادات من أ .

فان قالوا بذلك ، قيل لهم : فلم لايجوز أن يعذبهم من خلقهم وخلق السماوات والأرض . فان قالوا بذلك سقطت مؤنتهم ولم يؤمنوا لعل الله سيعذب قوماً على ماذكرنا ، وان قالوا لايجوز أن يعذبهم على ما ذكرتم. قيل لهم : فما انكرتم أن لايجوز أن يعذبهم على ما اضطرهم اليه واجبرهم عليـه .

ويقال لهم إن صاروا الى قول جهم : إذا زعمتم أن لافاعل إلا الله فما انكرتم أن يكون لاقائل إلا الله ؟ فان قالوا بذلك : قيل لهم فما أنكرتم أن يكون هو القائل اني ثالث ثلاثة ، وان لي ولداً ، وهو الكاذب بقول الكاذب ، ولزمهم ان يكون [1] جميع أخباره كذباً ، وإن قالوا : لايجب أن يكون لاقائل الا الله لأن هذا يوجب انه ظالم عابث إذ لم يفعل الظلم والعبث غيره .

وان امتنع القوم من ان يقولوا انه اضطرهم [2] الى الكفر . قيل لهم : فما أنكرتم أن لا يكون قد خلق فيهم الكفر كما لم يضطرهم اليه ويحملهم عليه .

ويقال لهم : أليس الله تعالى خلق الكفر والإيمـان ، وأمر بالإيمان ونهى عن الكفر ، وأثاب على الإيمان وعاقب على الكفر ؟ فاذا قالوا : نعم ، قيل لهم فقد امر الله تعالى العباد أن يفعلوا خلقه ونهاهم وغضب من خلقه لأن الله تعالى غضب من الكفر [وسخطه] [3] وهو خلقه . فان قالوا بذلك قيل لهم : فلم لايجوز أن يغضب من كل خلقه كما غضب من بعض [خلقه] [3] ، ولم لايجوز أن يأمر وينهى العباد ويثيبهم ويعاقبهم

(١) في مط : أن تكون . (٢) في أ : أن اضطرهم .
(٣) الزيادة من أ .

على السواد والبياض والطول والقصر ، كما أمرهم بخلقه ونهاهم عن خلقه وأثابهم وعاقبهم على خلقه .

ويقال لهم : أليس الله تعالى [قد] [1] فعل الظلم وليس بظالم ؟ فمن قولهم : نعم . يقال لهم : فما أنكرتم أن يخبر بالكذب ولا يكون كاذباً؟ فان قالوا بذلك لم يؤمنوا ان جميع اخباره عن الغيب والحساب والجنة والنار كذب وان لم يكن كاذباً ، وان قالوا لايجوز ان يخبر بالكذب إلا كاذب، قيل لهم : فما انكرتم ان لايفعل الظلم الا ظالم .

فان قالوا : لايجب أن يكون الله ظالماً لأنه انما فعل ظلم العباد . قيل : فما انكرتم ان لا يكون كاذباً لأنه انما قال كذباً للعباد [2] ، ولم يجدوا مما سألناهم [عنه] [3] مخلصاً .

ويقال لهم : اليس الله تعالى قد فعل [عندكم] [3] شتم نفسه ولعن انبيائه ؟ فان قالوا : نعم . قيل لهم : فما انكرتم ان يكون شاتماً لنفسه لاعناً لأنبيائه . فان قالوا : إنه شاتم لنفسه لاعن لأنبيائه ، فقد سقطت مؤنتهم وخرجوا عن دين أهل القبـلة . وان قالوا : ان الله لايجوز أن يشتم نفسه ويلعن [4] انبياءه . قيل لهم : فما انكرتم ان لايجوز أن يفعل شتم نفسه ولا لعن [5] انبيائه . وكلما اعتلوا بعلة عورضوا بمثلها .

---

(١) الزيادة من أ .
(٢) في أ : كذب العباد .
(٣) الزيادة من أ .
(٤) في مط : ولا يلعن .
(٥) في أ : ولا قتل ،

فصل

[التنديد بالقائلين بخلق الأفعال] [1]

قد كان الأولى ان لاندلّ على مثل هذه المسألة - اعنى ان افعال العباد فعلهم وخلقهم - لأن المنكر لذلك ينكر المحسوسات التى قد تبين صحتها ، ولولا مارجوته من زوال شبهة ، ومن وضوح [2] حجة تحصل لقاريء كتابي هذا لما كان هذا الباب مما ينتشر فيه القول .

ولا اعجب ممن ينفي فعله مع علمه بأنه يقع بحسب اختياره ودواعيه ومقاصده ، نعوذ بالله من الجهل ، فانه اذا استولى وغمر طبق وعم ، وقد قال الرسول الصادق صلى الله عليه وآله وسلم : حبك الشيء [3] يعمى ويصم .

وقد قال الله سبحانه في قوم عرفوا ثم عاندوا [4] : « وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين » [5]

فصل

[تنزيهه تعالى عن القضاء بغير الحق] [6]

فان قال منهم قائل : ماذا نفيتم ان يكون الله فاعلا لأفعالكم ، افتقولون انه قضى اعمالكم ؟ قيل له : إن الله تعالى قضى الطاعة إذ امر بها ولم يقض الكفر والفجور والفسوق .

---

(١) العنوان زيد من مط . (٢) في مط : ومن وضح [وضوح]
(٣) في أ : للشيء . (٤) في أ : ثم عاندوه .
(٥) سورة النمل : ١٤ . (٦) العنوان زيد من مط .

فان قال : فما الدليل على ماقلتم ؟ قيل له : من الدليل على ذلك قول الخالق الصادق عز وجل : « والله يقضي بالحق وهو خير الفاصلين » [1] فعلمنا انه يقضي بالحق ولا يقضي بالباطل ، لأنه لو جاز ان يتمدح بأنه يقضي بالحق وهو يقضي غير الحق ويقضي بالباطل لجاز ان يقول : والله يقول الحق وهو يقول غير الحق ، فلما كان قوله والله يقول الحق دليلا على انه لايقول غير الحق كان قوله يقضي الحق دليلا على انه لايقضى غير الحق .

ويدل على ذلك قوله تعالى : « والله يقضي بالحق » [2] ، فعلمنا انه يقضى بالحق ولا يقضي بالجور .

ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى : « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين احساناً » [3] ، فعلمنا أنه لم يقض عبادة الأصنام والأوثان ولا عقوق الوالدين .

ومما يبين ذلك أيضاً أن الله اوجب علينا أن نرضى بقضائه ولا نسخطه ، وأوجب علينا ان نسخط الكفر ولا نرضاه ، فعلمنا أن الكفر ليس من قضاء ربنا .

ومما يبين ذلك أن الله تعالى أوجب علينا أن ننكر المنكر ، وأن نمنع الظلم ، فلو كان الظلم من قضاء ربنا كان اوجب علينا ان ننكر قضاءه وقدره ، فلما لم يجز أن يوجب الله إنكار قضائه ولا رد قدره ، علمنا

---

(١) اتفقت النسخ على هذا ، والآية في سورة الانعام ٥٧ هكذا : «وان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين » .

(٢) سورة غافر : ٢٠ .

(٣) سورة الاسراء : ٢٣ .

أن الظلم ليس من قضائه ولا قدره .

وأيضاً قال الله تعالى في كتابه : « ويقتلون النبيين بغير الحق »[1] وقال : « يقضي بالحق » (٢) فعلمنا أن ما كان بغير الحق غير ماقضى بالحق ، فلو كان قتل الأنبياء من قضاء الله كان حقا ، وكان يجب علينا الرضا به ، لأنه يجب علينا الرضا بقضاء الله ، وقد أمر الله تعالى أن لايرضى بغير الحق ولا يرضى بقتل الأنبياء ، فعلمنا أن قتلهم ليس بقضاء ربنا ولا من فعل خالقنا .

ومما يبين أن الله تعالى لم يقدر الكفر قوله تعالى في كتابه : « سبح اسم ربك الأعلى . الذي خلق فسوّى . والذي قدّر فهدى »[3] ولم يقل انه قدر الضلال على خلقه ، ولا قدر الشقاء على خلقه ، لأنه لايجوز أن يتمدح بأنه قدر الضلال[4] عن الحق ، وكل ضلال عن الحق فمن تقديره ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

فصل

[معنى خلق الأشياء كلها][5]

فان قيل : فما معنى قول الله تعالى : « خالق كل شيء »[6] و « خلق كل شيء » (٧) ؟ قيل له : إنما أراد به خلق السماوات والأرض

---

(١) سورة البقرة : ٦١ . (٢) سورة غافر : ٢٠ .

(٣) سورة الأعلى : ١ ـ ٣ .

(٤) في أ : بأنه قدر الهدى وقدر الضلال .

(٥) الزيادة من مط . (٦) سورة الأنعام : ١٠٢ .

(٧) سورة : الأنعام : ١٠١ .

والليل والنهار والجن والانس وما اشبـه ذلك [ولم يرد أنه خلق الكفر والظلم والكذب ، إذ لم يجز أن يكون ظالماً ولا كاذباً ، عز وجل] [1] وقد بين الله لنا صنعه فقال : « صنع الله الذي أتقن كل شيء » [2] فلما لم يكن الكفر بمتقن ولا بمحكم ولا بحق ولا بعـدل علمنا أنه ليس من صنعه ، لأنه متفاوت متناقض ، وقد قال تعالى : « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » [3] فأخبر ان الاختلاف لا يكون من عنده ، وقال تعالى : « ماترى في خلق الرحمن من تفاوت » [4] والكفر متفاوت [فاسد] [5] متناقض ، فثبت انه ليس من خلقه وانه عمل الكافرين .

فإن قال : فلم زعمتم ان قوله « كل شيء » قد خرج منه بعض الأشياء ؟ قيل له : قد قال الله تعالى : « إن زلزلة الساعة شيء عظيم » [6] ولم يخلقها ، والإيمان الذي أمر الله به فرعون والكافرين لم يخلقه ، فثبت أن الاشياء [أطلق] [7] في بعض دون بعض ، وقد قال الله تعالى : « وأوتيت من كل شيء » [8] ولم تؤت من ملك سليمان شيئاً ، وإنما أراد مما اوتيته [هي] [9] دون مالم تؤته .

وقال تعالى : « يجبى اليه ثمرات كل شيء » [10] وقد علمنا أنه لم تجبَ [11] اليه ثمرات الشرق والغرب ، وإنما أراد مما يجبى [اليه و] [12]

---

(١) الزيادة من أ .

(٢) سورة : النمل : ٨٨ .

(٣) سورة : النساء : ٨٢ .

(٤) سورة : الملك : ٣ .

(٥) الزيادة من أ .

(٦) سورة الحج : ١ .

(٧) الزيادة من أ و فوقها « ظ » .

(٨) سورة النمل : ٢٣ .

(٩) الزيادة من مط .

(١٠) سورة القصص : ٥٧ .

(١١) في مط : لم يجب.

(١٢) الزيادة من مط .

كذلك قوله تعالى : « خالق كل شيء » [1] مما خلقه تعالى .

وقال تعالى : « فتحنا عليهم أبواب كل شيء » [2] وإنما أراد ما فتح عليهم .

وقال تعالى : « تبياناً لكل شيء » [3] ولم يرد تبيان عدد النجوم وعدد الإنس والجن ، وإنما أراد تبيان [4] كل شيء مما بالخلق اليه حاجة في دينهم .

وقال تعالى : « تدمر كل شيء بأمر ربها » [5] ولم يرد أنها [6] تدمر هوداً والذين معه ، وإنما [أراد] [7] تدمر من أرسلت لتدميره .

وقال : « أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء » [8] ولم ينطق الحجارة والحركة والسكون [9] .

وما اشبه ما ذكرناه كثير ، كذلك أيضاً قوله : « بديع السماوات والأرض أنّى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء فقدّره تقديراً» [10] اراد الأزواج والأولاد والأجسام ، لأن هذارد على النصارى ولم يرد الفجور والفسوق .

وما ذكرناه في اللغة مشهور ، قال لبيد بن ربيعة [11] :

(١) سورة الأنعام : ١٠٢ . (٢) سورة الأنعام : ٤٤ .

(٣) سورة النحل : ٨٢ . (٤) في مط : بيان .

(٥) سورة الأحقاف : ٢٥ . (٦) في مط : أنه .

(٧) الزيادة من مط . (٨) سورة فصلت : ٢١ .

(٩) في أ : والحركات والسكنات . (١٠) سورة الأنعام : ١٠١ .

(١١) لبيد بن ربيعة العامري الشاعر ، قدم على النبي (ص) سنة وفدقومه فأسلم وحسن اسلامه ، وترك الشعر منذ اسلامه حتى موته ، وعمر طويلاً ومات=

ألا كلُّ شيء ما خلا الله باطلٌ   وكلُّ نعيم لا محالة زائــل

ولم يرد أن الحق باطل ، ولا ان شعره هذا [الذي قاله] [1] باطل وقد قال كل شيء وإنما اراد بعض الأشياء ، ويقول القائل [2] « دخلنا المشرق فاشترينا كل شيء ورأينا كل شيء حسن » ، وإنما أراد كل شيء مما اشتروا ، وكل شيء مما رأوا [3] ، وكذا « خالق كل شيء » مما خلقه لا مما فعله عباده ، لأنه لا يجوز أن يفعل العباد خلق رب العالمين .

ويقال لهم : إن كان يجب أن تكون أعمال العبـاد خلق الله لقول الله : « خالق كل شيء » [4] ، فيجب أن يكون كل خلقه حسناً لقوله: « الذي أحسن كل شيء خلقه » [5] فيجب أن يكون الشرك حسنـاً ، وكذلك الظلم والكذب والفجور والفسوق ، لأن ذلك عندهم خلق الله تعالى

فإن قالوا : إن قوله « الذي أحسن كل شيء خلقه » انما أراد بعض الأشياء . قيل لهم : فما أنكرتم أن يكون قوله « خالق كل شيء » انما وقع على كل شيء خلقه دون ما لم يخلقه [6] مما يقدر عليه ويعلم أنه لا يفعله ومما يفعله عباده من الطاعة والمعصية .

فإن قال قائل : فما معنى قول الله تعالى : « والله خلقكم ومـا تعملون » [7] ؟ قيل له : إنما خبَّر الله عن ابراهيم أنه حاجَّ قومه فقال:

= وهو ابن مائة واربعين سنة ، وقيل انه مات وهو ابن سبع وخمسين ومائة سنة وكانت وفاته سنة ٤١ هـ على اشهر الأقوال (الاستيعاب : ٣/ ١٣٣٥) .

(١) الزيادة من أ .
(٢) في أ : ويقول قائل .
(٣) في مط : أرادوا .
(٤) سورة الأنعام : ١٠٢ .
(٥) سورة السجدة : ٧ .
(٦) في أ : ما خلق .
(٧) سورة الصافات : ٩٦ .

[لهم] [1] « لم تعبدون ما تنحتون . والله خلقكم وما تعملون » يقول نحتّم خشباً ثم عبدتموه ، على وجه التوبيخ . ثم قال : « والله خلقكم وما تعملون » يقول خلقكم وخلق الخشب الذي عملتموه صنماً ، فسمى الصنم الذي عملوه عمــلاً لهم [2] ، وإن كان الذي حلَّ فيه من التصوير عملهم

ولما ذكرناه نظائر من القرآن واللغة : فأما القرآن فقوله تعالى : « يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات » [3] وإنما عملهم حلٌّ في هذه الأمور ، فأما الحجارة فهي خلق الله لافاعل لها غيره .

ومن ذلك أيضاً قوله : « واصنــع الفلك بأعيننا » [4] فالخــشب خلق الله والعباد نجروه وعملوه فلكا وسفناً .

ومن ذلك أيضاً قوله : « أن اعمل سابغات » [5] فالحديد خلق الله ولكن العباد عملوه دروعاً ، فعمل داود عليه السلام حلٌّ في الحديــد والحديد خلق الله .

وقال في الحيــة « تلقف ما صنعوا » [6] وإنما يريــد أنها تلقف الحبال والعصي التي فيها صنعهم ، فكذلك قال : « لم تعبدون ماتنحتون . والله خلقكم وما تعملون » [7] خلق الخشب الذي يعملون منه صنمــاً لأن العباد [8] عملوا خلق الله [و] [9] لان الله خلق أعمالهم .

---

(١) الزيادة من أ .
(٢) في مط : عملاً له .
(٣) سورة سبأ : ١٣ .
(٤) سورة هود : ٣٧ .
(٥) سورة سبأ : ١١ :
(٦) سورة طه : ٦٩ .
(٧) سورة الصافات : ٩٦ :
(٨) في مط : الاأن .
(٩) الزيادة من أ .

وقد يقول القائل : فلان يعمل الطين لبناً ، ويعمل الحديد أقفالاً ، ويعمل الخوص زبلاً . كذلك أيضاً عملوا الخشب أصناماً ، فجاز أن يقال : إنها عمل لهم كما قيل : انهم يعملون الخوص والطين والحديد .

ثم إنا نرد هذا الكلام عليهم فنقول لهم : إذا زعمتم أن كفرهم خلقهم [1] ، وقال ابراهيم محتجاً عليهم في قولهم إن الله خلق اعمالهم فلم ما قالوا : ياابراهيم ان كان الله خلق فينا الكفر ولا يمكننا ان نرد ما خلق الله فينا ولو قدرنا لفعلنا ، وأنت تأمرنا بأمر لا يكون خلق الله فينا ، فإنما تأمرنا بأن لا يخلق الله خلقه حاشا الله [2] ، بل قالوا ذلك لتبين ابراهيم عليه السلام أن كفرهم غير خلق الله ، ولو كان خلق الله ما عذبوا عليه ولا نهوا عنه ، وقد قال الله تعالى : « لا تبديل لخلق الله » [3] فلو كان خلق الله ما بدل وما عذبوا إلا على كفرهم الذي هو غير خلق الله وان خلق الله حكمة وصواب ، والكفر سفه وخطأ ، فثبت ان الحكمة غير السفه ، والخطأ غير الصواب .

ولولا كراهة طول الكتاب وخوف ملال القارىء لأتينا على كل شيء مما يسألون عنه من المتشابه في تصحيح مذهبهم ، وفيما ذكرناه كفاية ودلالة على ما لم نذكره ، على أنا قد اودعنا كتابنا (صفوة النظر) من ذلك ما فيه بلاغ ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) في مط : خلق لهم . (٢) في مط : بأن لا يخلق الله خلقاً ماشاء الله

(٣) سورة الروم : ٣٠ .

فصل

[معنى الهدى في المؤمن وللكافر] [1]

ان سأل سائل فقال : أتقولون إن الله هدى الكافر ؟ قيل له : إن الهدى على وجهين : هدى هو دليل وبيان ، فقد هدى الله بهذا الهدى كل مكلف بالغ الكافر منهم والمؤمن ، وهدى هو الثواب والنجاة فلا يفعل الله هذا الهدى إلا بالمؤمنين المطيعين القائلين عن الله ورسوله .

فإن قال [2] : فما الدليل على أن الهدى ما تقولون ؟ قيل : الدليل على أن الهدى قد يكون بمعنى الدليل قوله تعالى في كتابه : « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » [3] فقد خبّر الله تعالى أنه هدى ثمود الكفار فلم يهتدوا فأخذتهم الصاعقة بكفرهم .

وقال الله تعالى : « إن هي إلا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن تتبعون إلا الظن وما تهوي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » [4] يعني الدلالة والبيان .

وقال تعالى : « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى » [5] يعني الدلالة والبيان .

وقال : « إنا هديناه السبيل » [6] يعني دللناه على الطريق .

وقال تعالى : « وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم

---

(١) العنوان من مط . (٢) في مط : فان قالوا .

(٣) سورة فصلت : ١٧ . (٤) سورة النجم : ٢٣ .

(٥) سورة الاسراء : ٩٤ . (٦) سورة الانسان : ٣ .

عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم قوماً مجرمين » [1] فخبروا في الآخرة أن الهدى اتى من الله للكفار فلم يهتدوا ، وانما هدى الله هدى الدليل .

وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « وإنك لتهدي الى صراط مستقيم » [2] يعني تدلُّ وتبين ، وما اشبه مـا ذكرناه اكثر من أن نأتي عليه .

وأما ما يدلّ على ذلك من اللغة : فإن كل من دلّ على شيء فقد هدى اليه ، فلما كان الله تعالى قد دلّ الكفار على الإيمان ثبت أنه قد هداهم الى الايمان .

فأما هدى الثواب الذي لا يفعله الله بالكافرين فمنـه قوله تعالى : « والذين قُتلوا في سبيل الله فلن يضلّ أعمالهم . سيهديهم ويصلح بالهم » [3] وإنما يهديهم بعد القتل بأن ينجيهم ويثيبهم .

وقال : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم جنات تجري من تحتهم الأنهار » [4] وإنما يهديهم بإيمـانهم بأن ينجيهم ويثيبهم .

وقال : « يهدي الله من اتبـع رضوانه سبل السلام » [5] وقال : « يهدي اليه من أناب » [6] يعني من تاب .

فهذا الهدى وما أشبه لا يفعله الله إلا بالمؤمنين القائلين بالحق [7] ، فأما قرين الدليل فقد هدى الله الخلق أجمعين . وكلما سألت عن آية من

(١) سورة سبأ : ٣٢ . (٢) سورة الشورى : ٥٢ .
(٣) سورة محمد : ٤ - ٥ . (٤) سورة يونس : ٩ .
(٥) سورة المائدة : ١٦ . (٦) سورة الرعد : ٢٧ .
(٧) في أ : القائلين لحق .

الهدى من الله تعالى فردُّها إلى هذين الأصلين ، فانــه لا يخلو من أن يكون على ما ذكرناه ، ولولا كراهة التطويل لسألنا أنفسنا عن آية آية مما يحتاج الى البيان ، وفي هذه الجملة دليل على ما نسأل عنه .

فصل

[حقيقة الاضلال منه سبحانه] [1]

فإن قيل : افتقولون أن الله تعالى أضل الكافرين ؟ قيل له : نقول إن الله أضلهم - بأن عاقبهم واهلكهم عقوبــة لهم على كفرهم - ولم يضلهم عن الحق ولا أضلهم بأن افسدهم ، جلّ وعز عن ذلك .

فان قالوا : لم زعمتم أن الضلال قد يكون عقابا ؟ قيل لهم : قد قال الله تعالى : « إن المجرمين في ضلال وسُعُر » [2] يعني في هــلاك ، وسعر يعني سعر النار فيهم ، إذ ليس في ضلال هو كفر أو فسق ، لأن التكاليف زائل في الآخرة ، وقد بين الله تعالى من يضلّ فقال : « ويضل الله الظالمين » [3] وقال : « يضــل الله الكافرين » [4] وقال : « وما يضل به إلا الفاسقين » [5] وقال : « كذلك يضــل الله من هو مسرف مرتاب » [6] .

ثم أوضح الأمر وخبَّر أنه لا يضل إلا بعد اقامة الحجة ، فقال : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون » [7] فأخبر انه لا يضل أحداً حتى يقيم الحجة عليه ، فاذا ضل عن الحق بعد

---

(١) العنوان من مط .
(٢) سورة القمر : ٤٧ .
(٣) سورة ابراهيم : ٢٧ .
(٤) سورة غافر : ٧٤ .
(٥) سورة البقرة : ٢٦ .
(٦) سورة غافر : ٣٤ .
(٧) سورة التوبة : ١١٥ .

البيان والهدى والدلالة أضله الله حينئذ ، بأن اهلكه وعاقبه .

وأما الإضلال الذي ننفيه عن ربنا تعالى فهو ما أضافه الله الى غيره فقال : « وأضلهم السامري » [1] يقول : اضلهم بأن دعاهم الى عبادة العجل .

وقال : « وأضل فرعون قومه وما هدى » [2] يريد اضلهم بأن قال : « انا ربكم الأعلى » وامرهم بالكفر ودعى اليه ، والله لا يأمر بعبادة غيره ولا يفسد عباده .

وقال : « فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين » [3] .

وقال : « ولقد أضلَّ منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون » [4] يريد أنه افسد وغر وخدع ، والله لا يغر [5] العباد ولا يظهر في الأرض الفساد .

وقال يخبر عن أهل النار : انهم يقولون « ما أضلنا الا المجرمون » [6] يريد ما افسدنا ولا غرَّنا ولا بيَّن الكفر والمعاصي إلا المجرمون ، ولم يقولوا ما اضلنا إلا رب العالمين ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً !

وكل اضلال اضل الله به العباد فإنما هو عقوبة [7] لهم على كفرهم وفسقهم .

وأما من خالفنا فزعموا إن الله تعالى يبتدىء كثيراً من عباده بالإضلال

---

(١) سورة طه : ٨٥ . (٢) سورة طه : ٧٩ .

(٣) سورة القصص : ١٥ . (٤) سورة يس : ٦٢ .

(٥) في مط : لا يضر . (٦) سورة الشعراء : ٩٩ .

(٧) في أ : عقوبته لهم .

عن الحق ابتداءاً من غير عمل ، وان من قولهم ان عبداً مجتهداً في طاعة الله قد عبده مائة عام ثم لا يأمنه أن يضله عما هو عليه من طاعة [1] فيخاق فيه من الكفر ، ويزين عنده الباطل ، وان يعبد غيره مائة عام ويكفر به ثم لا يأمن ان يخلق في قلبه الإيمان فينقله عما هو عليه ، فليس يثق [2] وليه بولايته ، ولا يرهب عدوه من عداوته .

فصل

[عود على بدء في معنى الهدى] [3]

فإن سأل سائل فقال : ما معنى قوله : « إنك لا تهدي من احببت » [4] . قيل له : معنى ذلك انك لا تنجي من العذاب من أحببت . . . [5] لأن النبي صلى الله عليه وآله كان حريصاً على نجاة أقاربه بل كل من دعاه .

فإن قيل : فلم زعمتم أن هذا [هو] [6] تأويل الآية ؟ قيل له : لما كان الله قد هداهم - بأن دلهم على الإيمان - علمنا أنه لم يهدهم بهدى الثواب ، وقد بين الله تعالى أن الهدى بمعنى الدليل قد هداهم به ، فقال « إن يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى » [7] يعني الدلالة والبيان .

---

(١) في أ : من طاعته . (٢) في أ : فليس يبقى .

(٣) العنوان من مط . (٤) سورة القصص : ٥٦ .

(٥) هنا في أ جاءت كلمة « ولا » ثم فراغ بمقدار كلمات .

(٦) الزيادة من أ . (٧) سورة النجم : ٢٣ .

فإن قيل : فما معنى قوله « ليس عليك هداهم ولكن الله يهـدي من يشاء » [1] ؟ قيل له : إنما أراد به ليس عليك نجاتهم ، ما عليك إلا البلاغ ولكن الله ينجي من يشاء .

فإن قيل : فلم قلتم هذا ؟ قيل له [2] : لما أخبر الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد هدى الكافر فقال : « انك لتهـدي الى صراط مستقيم » [3] وإنما يريد انك تدل ، فلما كان قد دلّ المؤمن والكافر كان قد هدى الكافر والمؤمن ، فعلمنا انه اراد بهذه الآية هدى الثواب والنجاة ، فقس على ما ذكرناه جميع ما يسأل عنه من امثال هذه الآية .

باب
(الكلام في الإرادة وحقيقتها)

فإن سأل سائل فقال : أتقولون ان الله تعالى أراد الإيمان من جميع الخلق المأمورين والمنهيين او اراد ذلك من بعضهم دون بعض ؟ قيل له: بل اراد ذلك من جميع الخلق ارادة بلوى واختبار ، ولم يرد ارادة اجبار واضطرار ، وقد قال الله تعالى : « كونوا قوّامين بالقسط » [4] وقال : « كونوا قردة خاسئين » [5] فأراد أن يجعلهم هو قردة ، ارادة اجبـار واضطرار فكانوا كلهم كذلك ، واراد أن يقوّموا بالقسط إرادة بلوى واختبار ، فلو أراد أن يكونوا قوّامين بالقسط [6] كمـا اراد ان يكونوا

---

(١) سورة البقرة : ٢٧٢ .
(٢) في مط : قيل لهم .
(٣) سورة الشورى : ٥٢ .
(٤) سورة النساء : ١٣٥ .
(٥) سورة البقرة : ٦٥ .
(٦) في مط : أن يقوّموا بالقسط

قردة خاسئين ، لكانوا كلهم قوّامين شاؤا أو أبوا ، ولكن لو فعل ذلك ما استحقوا حمداً ولا أجراً .

ومما يدل من القرآن على ان الله اراد بخلقه الخير والصلاح ولم يرد بهم الكفر والضلال قوله سبحانه : « يريدون عَرَضَ الدنيا والله يريد الآخرة » [1] فأخبر ان ما اراد غير ما ارادوا .

وقال : « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم » [2] فأخبر ان ارادته في خلقه الهداية والتوبة والبيان ثم قال : « والله يريد ان يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيما » [3] فأخبر ان ما اراد الله منهم [غير ما أراد] [4] غيره من الميل العظيم .

وقال : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره » [5] فأخبر انه انما يأبى ما اراده العباد من إطفاء نوره .

وقال : « وما الله يريد ظلماً للعباد » [6] وقال : « وما الله يريد ظلماً للعلمين » [7] فأخبر انه لا يريد الظلم بوجه من الوجوه ، كما انه لما قال : « ولا يرضى لعباده الكفر » [8] لم يجز أن يرضى [به] [9] بوجه من الوجوه .

وكذلك لما قال « إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون » [10] لم يجز أن يأمر بالفحشاء بوجه من الوجوه ، ولو جاز أن

(١) سورة الأنفال : ٦٧ .
(٢) سورة النساء : ٢٦ .
(٣) سورة النساء : ٢٧ .
(٤) الزيادة من أ .
(٥) سورة التوبة : ٣٢ .
(٦) سورة غافر : ٣١ .
(٧) سورة آل عمران : ١٠٨ .
(٨) سورة الزمر : ٧ .
(٩) الزيادة من مط .
(١٠) سورة الأعراف : ٢٨ .

يريد الظلم وهو يقــول « وما الله يريد ظلماً للعـالمين » لجاز أن يرضى بالكفر ويحب الفساد ويأمر بالفحشاء ، مع هذه الآيات ، فلما لم يجز ذلك لم يجز ان يريد الظلم .

ومما يدل على ان الله تعالى لم يرد الكفر والفجور : انا وجدنا المريد لشتم نفسه سفيهاً [1] غير حكيم ، فلما كان الله أحكم الحاكمين علمنا انه لايريد شتمه ولا سوء الثناء عليه .

وايضاً فان الكفار إذا فعلوا ما اراد من الكفر كانوا محسنين ، لأن من فعل ما اراد الله تعالى فقد أحسن ، فلما [2] لم يجز أن يكون [الكافر] [3] محسناً في شتمه الله ومعصيته له علمنا انه لم يفعل ما اراد الله .

وأيضاً فإنه لو جاز أن يريد الكفر به ويكون بذلك ممدوحاً لجاز أن يحب الكفر ويرضى به ، ويكون بذلك حكيماً ممدوحاً ، فلما لم يجز أن يرضى بالكفر ولا يحبه لم يجز أن يريده .

وايضاً فإن من امر العباد بما لا يريده فهو جاهل ، فلما كـان ربنا أحكم الحاكمين علمنا انه لم يأمر بشيء لا يريده ، لأن من امر بمدحه ولم يرد أن يفعله ونهى عن شتمه واراد أن يفعل فهو جاهل ناقص ، فلما كان الله احكم الحاكمين علمنا انه لا يريد ان يشتم ولا يثنى عليه بسوء الثناء تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً .

---

(١) في مط : لشتمه نفسه سفيه . (٢) في مط : ظاماً لم .

(٣) الزيادة من أ :

فصل

[في][1] شبهة لهم [في الإرادة][2]

قالوا : لو أراد الله سبحانه من زيد الايمان فوقع خلافه - وهو مراد الشيطان والعبد - لكانا قد عجّزا الله ووجب أن يكونا أقدر منه .

والجواب عن ذلك : أنه يقال لهم : لم قلتم ذلك ؟ فإن قالوا : لأنا نعلم ان جند السلطان لو فعلوا مالا يريده لدل على عجزه وعدم قدرته[3] قيل لهم : إنما صح ذلك لأن السلطان لم يكن ممن يصح منه التكليف أو ممن له قدرة على الانتصاف منهم في أي وقت اراد ولا يخاف الفوت ، ولم يكن ايضاً ممن يعلم مقدار الحسنة والجزاء عليها والسيئة والأخذ بها .

وايضاً فإن السلطان يتألم اذا لم يقع مراده ويُسر بوقوعه ، وكل هذه الأوصاف منتفية عن القديم ، ففرق[4] بين الأمرين ، ولم يكن للقياس الذي اعتمدوا عليه معنى في هذا الموضع ، وانما يجب ان يجمع بين المتساويين بعلة والأمر هاهنا بخلاف ذلك .

ثم يقال لهم : إنما كان[5] يجب أن يكون عاجزاً لو أراد منهم الطاعة ارادة اضطرار وإجبار ثم لم تقع ، فأما اذا اراد[6] ارادة البلوى والاختبار فهذا مالا يُغبى الا على المسكين ، واذا كان ذلك كله فلا يكون منا التعجيز لله تعالى ، إذ فعل العباد مالا يريده من الكفر ولم يفعلوا ما اراده

---

(١) الزيادة من مط . (٢) الزيادة منا .

(٣) في أ : وقلة قدرته . (٤) في أ : فافترق .

(٥) في أ : ان كان . (٦) في أ : وقد أراد .

من الإيمان ، لأنه لم يرد ان يحملهم عليه حملاً ويلجئهم اليه الجاءً ، فيكون منهم على غير سبيل التطوع .

وقد بين الله [ذلك] [1] في كتابه فقال : « ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين » [2] فأخبر أنه لوشاء لأحدث آية يخضع عندها الخلق ، ولكنه لو فعل ذلك ما استحقوا حمداً ولا جزاءً [3] ولا كرامة ولا مدحاً ، لأن الملجأ لا يستحق حمداً ولا جزاءً ، وانما [4] يستحق ذلك المختار المستطيع ، وقد بين الله ذلك فقال : « فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنابه مشركين » [5] وقال الله عز وجل : « فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا » [6] فأخبر انه لا ينفع الايمان اذا كان [7] العذاب والإلجاء .

وقال تعالى : « يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً » [8] فأخبر انه لا ينفع الإيمان في حال الإلجاء .

وقال عز وجل : « حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين » [9] .

وقال الله تعالى : « آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين » [10] فأخبر انه لا ينفعه الايمان في وقت الإلجاء والإكراه .

(١) الزيادة من أ .
(٢) سورة الشعراء : ٤ .
(٣) في أ : ولا حمداً وجزاءً .
(٤) في أ : لأنه انما .
(٥) سورة غافر : ٨٤ .
(٦) سورة غافر : ٨٥ .
(٧) في مط : اذ كان .
(٨) سورة الأنعام : ١٥٨ .
(٩) سورة يونس : ٩٠ .
(١٠) سورة يونس : ٩١ .

وقال عز وجل : « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً . وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار » [1] فأخبر انه لا تنفع التوبة في حال المعاينة ، وما اشبه ما ذكرناه كثير .

ثم يقال لهم : فإذا كان العبد بفعله مالم يرد الله قد أعجزه فيجب أن يكون بفعله ما يريده قد أقدره ، ومن انتهى قوله الى هذا الحد فقد استغني عن جداله وربحت مؤنته .

فصل

[الإيمان وحقيقة المشيئة] [2]

فان سألوا عن معنى قوله تعالى : « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » [3] .

قيل لهم : معنى ذلك لو شاء ربك لألجأهم الى الإيمان ، لكنه لو فعل ذلك لزال التكليف ، فلم يشأ ذلك بل شاء ان يطيعوا على وجه التطوع والإيثار لا على وجه الإجبار والإضطرار ، وقد بين الله ذلك فقال : « افأنت تكره الناس » يريد اني انا اقدر على الإكراه منك ولكنه « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي » [4] وكذلك الجواب في قوله « ولو شاء ربك

(١) سورة النساء : ١٧ ـ ١٨ . (٢) الزيادة من مط .

(٣) سورة يونس : ٩٩ . (٤) سورة البقرة : ٢٥٦ .

ما فعلوه » [1] ، « ولو شاء لهداهم اجمعين » [2] وقوله : « ولو شاء الله مااقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جائتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر » [3] ولوشاء لحال بينهم وبين ذلك ، ولو فعل ذلك لزال التكليف عن العبـاد ، لأنه لا يكون الأمر والنهي الامع الاختيار لا مع الإلجاء [4] والاضطرار .

وقد بين الله [ذلك] [5] بما ذكرنا من قوله « إن نشأ ننزل عليهم من السماء آيـة فظلت أعناقهم لهـا خاضعين » [6] فأخبر أنه لو شاء لأكرههم على الإيمان .

وقد بين ذلك ما ذكرناه من قصة فرعون وغيره انه لم ينفعهم الإيمان في وقت الاكراه .

وقد بين الله في كتابه العزيز أنه لم يشأ الشرك ، وكذب الذين اضافوا اليه ذلك ، فقال تعالى : « سيقول الذين اشركوا لوشاء الله ما اشركنـا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء » [7] فأخبروا أنهم [8] انما اشركوا بمشيئة الله تعالى فلذلك كـذبهم ، ولو كانوا أرادوا أنه لو شاء الله لحال بيننا وبين الإيمان لما كذبهم الله ، قال الله تكذيباً لهم : « كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا - يعني عذابنا - قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا - يعني هل عندكم من علم أن الله يشاء الشرك ثم قال - إن تتبعون الا

---

(١) سورة الأنعام : ١١٢ .
(٢) سورة النحل : ٩ .
(٣) سورة البقرة : ٢٥٣ .
(٤) في أ : لامع الأجبار .
(٥) الزيادة من أ .
(٦) سورة الشعراء : ٤ .
(٧) سورة الأنعام : ١٤٨ .
(٨) في مط : انه .

الظن وان انتم إلا تخرصون »[1] [يعني تكذبون][2] كقوله « قتل الخرّاصون »[3]

وقال عز وجل : « ماهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون »[4] يعني يكذبون .

وقال عز وجل : « وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين »[5] خبرّ أن الرسل قد دعت الى الإيمان ، فلو كان الله تعالى شاء الشرك لكانت الرسل قد دعت خلاف ما شاء الله ، فعلمنا ان الله لم يشأ الشرك .

فان قال بعض الأغبياء : فهل يشاء العبد شيئاً او هل تكون للعبد ارادة ؟ قيل له : نعم قد شاء ما امكنه الله من مشيئته ويريد ما امره الله بارادته ، فالقوة على الإرادة فعل الله والإرادة فعل العبد .

والدليل على ذلك قول الله تعالى : « قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها »[6] .

وقال تعالى : « فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا »[7] وقال : « فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا »[8] وقال : « ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء »[9] .

وقال : « وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوء منها حيث يشاء »[10]

---

(١) سورة الأنعام : ١٤٨ .
(٢) الزيادة من أ .
(٣) سورة الذاريات : ١٠ .
(٤) سورة الزخرف : ٣٠ .
(٥) سورة النحل : ٣٥ .
(٦) سورة الكهف : ١٩ .
(٧) سورة المزمل : ١٩ .
(٨) سورة النبأ : ٣٩ .
(٩) سورة الأحزاب : ٥١ .
(١٠) سورة يوسف : ٦٥ .

وقال : « فكلا من حيث شئتما » [1] .

وقال : « فأتوا حرثكم أنى شئتم » [2] .

وقال : « لوشئت لا تخذت عليه اجراً » [3] .

وقال فيما بيّن أن العبد قد يريد ما يكره الله من ارادته فقال : « تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة » [4] .

وقال : « ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً » [5]

وقال : « ولو أرادوا الخروج لأعدُّوا له عدة » [6] فأخبر أنهم لو ارادوا لفعلوا كما فعل من اراد الخروج .

وقال : « يريدون أن يبدلوا كلام الله » [7] .

وقال « يريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً » [8] .

وقال : « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء » [9] وما اشبه ما ذكرنا اكثر من أن نأتي عليه في هذا الموضع .

فإن قال : فما معنى قوله : « وما تشاؤن إلا أن يشاء الله » .

قيل له : ان الله ذكر هذا المعنى في موضعين ، وقد بينها ودلَّ عليها بأوضح دليل واشفى برهان على انها مشيئته في الطاعة ، فقال : « لمن شاء منكم أن يستقيم . وما تشاؤن إلا ان يشاء الله رب العالمين » [10] فهو عز وجل شاء الاستقامة ولم يشأ الاعوجاج ولا الكفر ، وقال في موضع آخر

---

(١) سورة الاعراف : ١٩ .

(٢) سورة البقرة : ٢٢٨ .

(٣) سورة الكهف : ٧٧ .

(٤) سورة الأنفال : ٦٧ .

(٥) سورة النساء : ٢٧ .

(٦) سورة التوبة : ٤٦ .

(٧) سورة الفتح : ١٥ .

(٨) سورة النساء : ٦٠ .

(٩) سورة المائدة : ٩١ .

(١٠) سورة التكوير : ٢٩ .

«ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا . وما تشاؤن الا ان يشاء الله»[1] فالله قد شاء اتخاذ السبيل ولم يشأ العباد ذلك الا وقد شاء الله لهم ، فأما الصدّ عن السبيل وصرف العباد عن الطاعة فلم يشأ عز وجل .

ويقال لهم : أليس المريد لشتمه غير حكيم ؟ فمن قولهم : نعم . قيل لهم : او ليس المخبر بالكذب كاذباً ؟ فمن قولهم : نعم . قيل لهم : وقد زعمتم ان الله يريد شتمه ويكون حكيماً فلابد من الإقرار بذلك او يتركوا قولهم .

ويقال لهم : فما انكرتم ان يخبر بالكذب ولا يكون كاذباً ؟ فان منعوا من ذلك قيل لهم : ولا يجب ان يكون حكيماً بارادة السفه وارادة شتم نفسه ، ولا يجدون الى الفصل سبيلاً ، فان اجازوا على الله أن يخبر بالكذب لم يأمنوا بعد إخباره عن البعث والنشور والجنــة والنار انها كلها كـذب ويكون بذلك صادقاً ، ولا يجدون من الخروج عن هذا الكلام سبيلاً .

ويقال لهم : فما تريدون انتم من الكفار ؟ فإن قالوا : نريد من الكفار الكفر ، فقد اقروا على أنفسهم بأن يريدوا ان يكفر بالله ويجب عليهم ان يجيزوا ذلك على النبي صلى الله عليه وآله بأن يكون مريداً للكفر[2] بالله تعالى ، وهذا غاية سوء الثناء عليه .

وان قالوا : إن الذي نريده من الكفـار الايمان . قيل لهم : فأيما افضل ما اردتم من الايمان او ما اراد الله من الكفر ؟ فان قالوا : ما اراد الله خير مما اردنا من الإيمان ، فقد زعمــوا ان الكفر خير من الايمان . وان قالوا : ان ما اردنا من الايمان خير مما اراده الله من الكفر ، فقد زعموا أنهم اولى بالخير والفضل من الله ، وكفاهم بذلك خزياً .

فيقال لهم : فما يجب على العباد يجب عليهم ان يفعلوا ما تريدون انتم

---

(١) سورة الانسان : ٣٠ .   (٢) في مط : مريد الكفر .

او ما يريد الله ؟ فان قالوا : ما يريد الله ، فقد زعموا أن على اكثر العباد ان يكفروا ، إذ كان الله يريد لهم الكفر . وان قالوا : إنه يجب على العباد ان يفعلوا ما نريد من الايمان ولا يفعلوا ما يريد الله من الكفر ، فقد زعموا أن اتباع ما ارادوا هم أوجب على الخلق من اتباع ما اراد الله ، وكفاهم بهذا قبحاً .

ولولا كراهــة طول الكتاب لسألناهم في قولهم ان الله تعالى اراد المعاصي عن مسائل كثيرة يتبين فيها فساد قولهم ، وفيما ذكرناه كفــاية ، والحمد لله رب العالمين .

فصل

[الأخبار المسددة لمذهب العدلية] [1]

ومما جاء من الحديث [2] ما يصحح مذهبنا في القضاء والمشيئة وغير ذلك مما ذكرنا ، فمن ذلك [3] ما روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال : « لا يؤمن احدكم حتى يرضى بقدر الله تعالى » . وهــذا مصحح لقولنا ، لأنا بقدر الله راضون وبالكفر غير راضين .

وروي عن عبد الله بن شداد [4] عنه صلى الله عليه وآله انه كان

(١) الزيادة من مط . (٢) في أ : في الحديث .

(٣) في مط : من ذلك ما ذكرناه . (٤) عبد الله بن شــداد بن الهاد الليثي عربي كوفي من خواص امير المؤمنين عليه السلام ، وكان من كبار التابعين وثقاتهم وقال لما منع بنو أميــة عن التحدث بفضائل علي عليه السلام : وددت أن أترك فأحدث بفضائل علي بن أبي طالب عليـه السلام وإن عنقي ضرب بالسيف ، قتـل سنة ٨٢ هـ (منتهى المقال : ١٨٦) .

يقول في دعائه : « اللهم رضّني بقضائك ، وبارك لي في قدرك ، حتى لا احب تعجيل ما اخرت ، ولا تأخير ما عجلت » والنبي صلى الله عليه وآله لا يجوز أن يرضى بالكفر ولا بالظلم .

وروي عنه صلى الله عليه وآله انه قال : « سيكون في آخر هذه الأمة قوم يعملون بالمعاصي حتى يقولون هي من الله قضاء وقدر ، فإذا لقيتموهم فأعلموهم اني منهم بريء » .

وروي عنه انه قال له رجل : بأبي انت وامي متى يرحم الله عباده ومتى يعذب الله عباده ؟ فقال صلى الله عليه وآله : « يرحم الله عباده اذا عملوا بالمعاصي فقالوا [هي منا ، ويعذّب الله عباده إذا عملو بالمعاصي فقالوا] [1] هي من الله قضاء وقدر » .

وقد روي عن عمر بن الخطاب انه اتى بسارق فقال : « ما حملك على هذا ؟ فقال : قضى [2] الله وقدّره ، فضربه عمر ثلاثين سوطاً ثم قطع يده فقال : قطعت يدك بسرقتك وضربتك بكذبك على الله تعالى » . وهذا خبر قد روته جميع الحشوية ومعظم رواة العامة ، ونقله أحمد بن حنبل [3] وغيره من الرواة .

وروي عن الأصبغ بن نباتة [4] قال : لما رجع امير المؤمنين علي بن

---

(١) الزيادة من أ .　　　(٢) في مط : قضاء الله .

(٣) ابو عبدالله احمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي ، امام المذهب الحنبلي وصاحب المسند المشهور ، ولد ببغداد سنة ١٦٤ هـ وتوفي سنة ٢٤١ هـ (الأعلام للزركلي : ١/١٩٢) .

(٤) كان الأصبغ من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام ، وعمّر بعده ، وروى عهد مالك الأشتر الذي عهده اليه امير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر ، وروى ـ

ابي طالب عليه السلام من صفين قام اليه شيخ فقال : يا امير المؤمنين اخبرنا عن مسيرنا الى الشام أكان بقضاء وقدر ؟ فقال عليه السلام [له] [1] : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطأنا موطئاً ولا هبطنا وادياً ولا علونا تلعة الا بقضاء وقدر . فقال [له] [1] الشيخ : عند الله أحتسب عنائي ، والله ما ان ارى لي من الأجر شيئا . فقال عليه السلام [له] [1] : بلى ايها الشيخ لقد عظم الله اجركم بمسيركم [2] وانتم سائرون وفي منصرفكم وانتم منصرفون ، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ، ولا اليها مضطرين . فقال : وكيف لم نكن مضطرين والقضاء والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا ومنصرفنا ؟ فقال عليه السلام [له] [3] : ويحك لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حتماً ، لو كان ذلك كذلك لبطل [4] الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والأمر من الله والنهي ، ولم تكن [تأتي] [5] لائمة لمذنب ولا محمدة لمحسن ، ولم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء ، ولا المسيء اولى بالذم من المحسن ، تلك مقالة عبدة الأوثان ، وجند الشيطان ، وخصماء الرحمن ، وشهود الزور والبهتان ، وأهل العمى عن الصواب ، وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها ، ان الله امر تخييراً ، ونهى تحذيراً ، وكلف يسيراً ، ولم يكلف عسيراً ، واعطى على القليل كثيراً ، ولم يعص مغلوباً ، ولم يطع مكرهاً ، ولم يرسل الرسل لعباً ، ولم ينزل الكتب للعباد عبثاً ، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً « ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار » [6]

ـ وصية امير المؤمنين عليه السلام الى ابنه محمد بن الحنفية (فهرست الطوسي : ٣٧).

(١) الزيادات من أ . (٢) في أ : بمصيركم .

(٣) الزيادة من أ . (٤) في أ : بطل .

(٥) الزيادة من أ . (٦) سورة ص : ٢١ .

فقال الشيخ : فما القضاء والقدر اللذان ما سرنا [1] الا بهما ؟ فقال عليه السلام : ذلك الامر من الله والحكم ، ثم تلا هذه الآيـة « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا اياه وبالوالدين احسانا » [2] فنهض الشيخ مسروراً وهو يقول :

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النشور من الرحمن رضوانا
أوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك بالاحسان احسانا

وروي عن جابر [3] عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال : « يكون في آخر الزمان قوم يعملون بالمعاصي ثم يقولون : الله قدَّرها علينـا ، الراد عليهم يومئذ كالشاهر سيفه في سبيل الله » .

وروي أن رجلاً جاء الى الحسن البصري [4] فقال : يا ابا سعيداني طلقت امرأتي ثلاثاً فهل لي من مخرج ؟ فقال : ويحك ما حملك على ذلك. قال : القضاء . فقال [له] [5] الحسن : كـذبت على ربك وبانت منك امرأتك .

وروي ان الحسن البصري مر على فضيل بن برجان وهــو مصلوب فقال : ما حملك على السرقة ؟ قال : قضاء الله وقدره . قال : كذبت يالكع أيقضي عليك ان تسرق ثم يقضي عليك ان تصلب ؟

وروي ان ابن سيرين [6] سمع رجلاً وهو يسأل عن رجل آخر فقال

---

(١) في أ : ما صرنا . (٢) سورة الاسراء : ٢٣ .

(٣) جابر بن عبد الله بن عمر بن حزام الأنصاري ، شهد بدراً وثمانية عشر غزوة مع النبي (ص) ، ومات سنة ثمان وسبعين (رجال الطوسي : ١٢) .

(٤) ترجم له في ص ٥٤ من هذا الكتاب .

(٥) الزيادة من أ .

(٦) ابو بكر محمد بن سيرين البصري ، كان له يد طولى في تأويل الرؤيا ، ـ

ما فعل فلان ؟ فقال : هو كما شاء الله . فقال ابن سيرين : لا تقل كما شاء الله ولكن قل [هو] [1] كما يعلم الله ، لو كان كما شاء الله كان رجلاً صالحاً .

وما اشبه هذا اكثر من ان يحصى ، ولو لم يكن ورد عن الرسول صلى الله عليه وآله من الآثار ما نعلم به بطلان مذهب القدرية والجبرية [2] الا الخبر المشهور الذي تلقته الأمة بالقبول ، وهو ما رواه شداد بن أوس [3] قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من قال حين يصبح أو حين يمسى : « اللهم أنت ربي لا اله الا انت ، خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت وأقر لك بالنعمة واقر على نفسي بالذنب ، فاغفرلي فانه لا يغفر الذنوب الا انت » .

وقال : ابن سيرين لرجل له مملوك : لا تكلفه مالا يستطيع ، فان كرهته فبعه .

وقال صلى الله عليه وآله : « اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم »

وروي انه صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام حين اخدمها

ـ وكان ابوه عبداً لأنس بن مالك ، وكان بينه وبين الحسن البصري من المنافرة ماهو مشهور ، توفى سنة ١١٠ هـ (الكنى والألقاب : ١/٣٠٨) .

(١) الزيادة من أ .

(٢) في أ : والمجبرة .

(٣) ابو يعلى شداد بن أوس بن ثابت الأنصاري الخزرجي ابن اخي حسان ابن ثابت الشاعر المشهور ، روى عنه اهل الشام وكان كثير العبادة والورع ، توفى سنة ٤١ وقيل سنة ٥٨ وقيل سنة ٦٤ (اسد الغابة : ٢/٣٨٧) .

غلاماً : « لا تكلفيه مالا يطيق » .

وروي عنه صلى الله عليه وآله انه قال : « استغفروا [1] عن الشرك ما استطعتم » ، وهذه الأخبار مما يُستدل بها على بطلان قولهم [2] في الإستطاعة وتصحيح قولنا ان الانسان مستطيع ، وان الله لا يكلف عباده مالا يطيقون ، وانما اوردناها لتكون رسالتنا هذه غير محتاجة الى غيرها في هذا المعنى .

ومن ذلك أيضاً ماروي عن بنت رقيقة [3] قالت : بايعت رسول الله في نسوة فأخذ علينا ما في آية السرقة والزنا ان لا يسرقن ولا يزنين الخ ، ثم قال : فيما استطعتن وأطقتن . قالت : قلنا الله ورسوله ارحم بنا من انفسنا .

وذكر قتادة [4] قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وآله اصحابه على السمع والطاعة فيما استطاعوا .

وهذا يدلّ كل منصف على ان رسول الله واتباعه لم يلزموا العباد الطاعة الا فيما استطاعوا ، وكيف يجوز على ارحم الراحمين واحكم الحاكمين أن يكلف عباده مالا يطيقون ، وأن يلزمهم [5] مالا يجدون .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : « اول ما تبين من ابن آدم بطنه ، فمن استطاع ان لا يدخل بطنه الا طيباً فليفعل » .

[وقال صلى الله عليه وآله : « من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل »

(١) في أ : فاستغفروا .

(٢) في مط : مذهبهم [قولهم] .

(٣) كذا في أ ، وفي مط « بنت رفيعة » وهو وهم ، وهي اميمة بنت رقيقة واسم أبيها عبد بن بجار بن عمير ، كانت من المبايعات (اسد الغابة : ٤٠٣/٥) .

(٤) ترجم له في ص ٥٥ .

(٥) في مط : وانه يلزمهم .

فلم يوجب عليه السلام على احد شيئاً إلا بعد الاستطاعة] [1]

وقال صلى الله عليه وآله : من استطاع منكم أن بقي وجهه حر النار ولو بشق تمرة فليفعل . فلم يرغّبهم الا فيما يستطيعون .

وروي عن ابن عباس [2] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألا انبئكم بأعز النـاس ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الذي يعفو إذا قدر .

فبين انه انما يكون العفو اذا قدر العبد واذا لم يقدر فلا يكون العفو وقد قال الله تعالى : « فاعفـوا واصفحوا » [3] وقال : « فاعف عنهم واصفح » [4] وقال : « خذ العفو وامر بالعرف » [5] فعلمنا أنه كان يقدر على أن يعاقب ، فأمره الله لذلك بالعفو ، ولا يجوز أن يعفو عما لا يقدر له على مضرة ولا على منفعة .

وروي عنه انه قال : « من كظم غيظاً وهو قادر على امضائه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى » .

وروي [عن] [6] ابن عباس في قوله « وقد كانوا يُدعون الى السجود وهم

---

(١) الزيادة من أ .

(٢) عبـد الله بن عباس بن عبد المطلب ، حاله في الجـلالة والإخلاص لأمير المؤمنين عليه السلام اشهر من أن يخفى ، دعا له النبي (ص) بالفقه والتأويل ، وكان حبر هذه الأمة وترجمان القرآن ، وكان عمر يقربه ويشاوره مع جملة الصحابة ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين وتوفى بالطائف سنة ٦٨ هـ (الكنى والالقاب : ١/٣٣٥) .

(٣) سورة البقرة : ١٠٩ . (٤) سورة المائدة : ١٣ .

(٥) سورة الأعراف : ١٩٩ . (٦) الزيادة من أ .

سالمون » [1] قال : وهم مستطيعون في دار الدنيا .

وروي عنــه صلى الله عليه وآله انه قال : « يسروا ولا تعسروا واسكنوا ولا تنفروا ، خير دينكم اليسر ، وبذلك آتاكم كتاب الله ، قال الله « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » [2] « ويريد الله أن يخفف عنكم » [3] واعلموا رحمكم الله انـه لو كان كلف خلقه [4] مالا يستطيعون [5] كان غير مريد بهم اليسر ، وغير مريد للتخفيف عنهم ، لأنه لا يكون اليسر والتخفيف في تكليف مالا يطاق » .

وروي عن سعيد بن عامر بن حذيم [6] لما استعمله عمر بن الخطاب على بعض كور الشام خرج معه يوصيه ، فلما انتهى الى المكان قال له سعيد وانت فاتق الله وخف الله في الناس ، ولا تخف الناس في الله ، وأحب لقريب المسلمين وبعيدهم ما تحبه [7] لنفسك واهـل بيتك ، وأقم وجهك تعبداً لله ، ولا تقض بقضائين [8] مختلف عليك امرك [9] ، وتنزع الى غير الحق ، وخُض الغمرات الى الحق ، ولا تخف في الله لومة لائم . فأخذ عمر

---

(١) سورة القلم : ٤٣ . (٢) سورة البقرة : ١٨٥ .

(٣) سورة النساء : ٢٨ . (٤) في مط : خلقه [عباده خ] .

(٥) في أ : مالا يطيقون .

(٦) كذا في مط ، وفي أ « بن حذلم » ، يقال ان سعيد هذا اسلم قبل فتح خيبر وشهد المشاهد بعدها ، وكان خيراً فاضلا ، وولاه عمر بعض أجناد الشام ، واختلف فى سنة وفاته : فقيل سنة ١٩ ، وقيل سنة ٢٠ ، وقيل سنة ٢١ (الاصابة ٢/٦٢٤) .

(٧) فى مط : ما تحب . (٨) في مط : بقضاء بين .

(٩) في مط : أمره .

بيده فأقعده ثم قال : ويحك من يطيق هذا ؟

فانظر كيف وصاه وأمره بأن يفعل الخير ويجتهد في تحصيله ، وما اشبه هـذا من الحـديث اكثر من ان يحصى ، والحمـد لله والصلاة على آل الله [1] .

(١) في أ : تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين .

الفهارس



١ - الآيات الكريمة

(سورة البقرة)

(سورة آل عمران)

(سورة النساء)

(سورة المائدة)

(سورة الأعراف)

(سورة الأنفال)

(سورة التوبة)

(سورة يونس)

(سورة هود)

(سورة يوسف)

(سورة الرعد)

(سورة الكهف)

(سورة مريم)

(سورة طه)

(سورة فصلت)

(سورة الشورى)

(سورة الزخرف)

(سورة الأحقاف)

(سورة غافر)

٢ ـ أحاديث وأقوال

(أ)

أتاني جبرئيل فقال : يا محمد خصلتان لا ينفع معها صوم ولا صلاة : الإشراك بالله ، وأن يزعم عبد أن الله يجبره على معصيته [النبي الأعظم] : ٧٨،

أقول فيها برأيي ، فان يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطــأ فمني ومن الشيطان [ابن مسعود قاله عند ما سئل عن مسألة] : ٧٩ .

إذا دعي بي يوم القيامة أقوم فأقول : لبيك وسعديك ... [النبي الأعظم] : ٧٩ .

اللهم رضني بقضائك ، وبارك لي في قدرك ، حتى لا أحب تعجيل ما اخرت ، ولا تأخير ما عجلت [النبي «ص»] : ١١٧ .

اذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم [النبي «ص»] : ١٢٠ .

استغفروا عن الشرك ما استطعتم [النبي «ص»] : ١٢٠ .

أول ما تبين من ابن آدم بطنه ، فمن استطاع أن لا يدخــل بطنه الا طيباً فليفعل [النبي «ص»] : ١٢١ .

ألا أنبئكم بأعز الناس ... الذي يعفو إذا قدر [النبي «ص»] : ١٢٢

(ب)

بايعت رسول الله في نسوة فأخذ علينا ما في آية السرقة والزنا ... [بنت رقيقة] : ١٢١ .

بايع رسول الله أصحابه على السمع والطاعة فيما استطاعوا [قتادة] : ١٢١

(خ)

خمسة لا تطفأ نيرانهم ولا تموت ديدانهم : رجل أشرك بالله ، ورجل عق والديه ، ورجل سعى بأخيه الى سلطان جائر فقتله ، ورجل قتل نفساً بغير نفس ، ورجل حمل على الله ذنبه [النبي الأعظم] : ٧٨ .

(س)

سيكون فى هذه الأمة أقوام يعملون بالمعاصي ويزعمون انها من الله ، فاذا رأيتموهم فكذبوهم ثم كذبوهم [النبي «ص»] : ٧٩ .

سيكون في آخر هذه الأمة قوم يعملون بالمعاصي حتى يقولون هي من الله قضاء وقدر ، فاذا لقيتموهم فأعلموهم اني منهم بريء [النبي الأعظم] : ١١٧ :

(ق)

قطعت يدك بسرقتك وضربتك بكذبك على الله تعالى [عمر بن الخطاب قاله لسارق اعتذر بقضاء الله وقدره للسرقة] : ١١٧ .

(ك)

كذبت على ربك وبانت منك امرأتك [الحسن البصرى قاله لرجل زعم انه طلق امرأته قضاءً] : ١١٩ :

كذبت يالكع أيقضي عليك أن تسرق ثم يقضي عليك أن تصلب

[الحسن البصري قاله لمن زعم انه صلب بقضاء الله وقدره] : ١١٩ .

(ل)

لا تظلموا عند قسمة مواريثكم ، ولا تجبنوا عند قتال عدوكم ، وامنعوا ظالمكم من مظلومكم ، وأنصفوا النـــاس من أنفسكم ، ولا تغلوا غنائمكم ، ولا تحملوا على الله ذنوبكم [النبي الأعظم] :٧٨ .

لبيك وسعديك ، الخير في يديك ، والشر ليس اليك [الرسول «ص» كان يقوله اذا قام الى صلاة الليل] : ٧٩ .

لا يؤمن احدكم حتى يرضى بقدر الله تعالى [النبي الأعظم] : ١١٦ .

لا تقل كما شاء الله ولكن قل هو كما يعلم الله ، لو كان كما شاء الله كان رجلاً صالحاً [ابن سيرين قاله لرجل] : ١٢٠ .

لا تكلفه مالا يستطيع ، فان كرهته فبعه [ابن سيرين قاله لرجل لـه مملوك] : ١٢٠ ،

لاتكلفيه مالا يطيق [قاله النبي لفاطمة حين أخدمها غلاماً] : ١٢١ .

(م)

من قال حين يصبح أوحين يمسي : اللهم انت ربي لا اله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك ... [النبي الأعظم] : ١٢٠ .

من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل [النبي «ص»] : ١٢١ .

من استطاع منكم أن يقي وجهـه حر النـــار ولو بشق تمرة فليفعل [النبي «ص»] : ١٢٢ .

من كظم غيظاً وهو قادر على امضائه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضى [النبي «ص»] : ١٢٢ ،

(و)

ويحك لعلك ظننت قضاءً لازماً وقدراً حتماً ، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب ... [علي «ع» قاله عند منصرفه من صفين لشيخ من أصحابه] : ١١٨ .

وأنت فاتق الله ، وخف الله في الناس ، ولا تخف الناس في الله ... [سعيد بن عامر قاله لعمر لما استعمله على بعض كور الشام] : ١٢٣ .

(ي)

يرحم الله عباده مالم يعملوا بالمعاصي ثم يقولون هي من عند الله [النبي الاعظم] ٧٨ .

يرحم الله عباده اذا عملوا بالمعاصي فقالوا هي منا ، ويعذب الله عباده اذا عملوا بالمعاصي فقالوا هي من الله قضاء وقدر [النبي «ص»] : ١١٧ .

يكون في آخر الزمان قوم يعملون بالمعاصي ثم يقولون الله قدرها علينا ، الراد عليهم يومئذ كالشاهر سيفه فى سبيل الله [النبي «ص»] : ١١٩ .

يسروا ولاتعسروا ، واسكنوا ولا تنفروا ، خير دينكم اليسر ، وبذلك أتاكم كتاب الله [النبي «ص»] : ١٢٣ .



٣ ـ الاعلام المختلفة

٤ ـ مراجع التحقيق

١ ـ (أمالي المرتضى) للشريف ـ دار احياء الكتب العربية بمصر ١٣٧٣ هـ.

٢ ـ (المفضليات) لابن الأنباري ـ دار المعارف بمصر ١٣٧١ هـ .

٣ ـ (أدب المرتضى) للدكتور عبد الرزاق محي الدين ـ مطبعة المعارف ببغداد ١٩٥٧ م .

٤ ـ (الأعلام) لخير الدين الزركلي ـ مطبعة كوستاتوماس بمصر ١٣٧٣ هـ .

٥ ـ (معاهد التنصيص) للسيد عبد الرحيم العباسي ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ هـ .

٦ ـ (ديوان الفرزدق) ـ دار صادر بيروت ١٣٨٠ هـ .

٧ ـ (معجم البلدان) لياقوت الحموي ـ دار صادر بيروت ١٣٧٤ هـ .

٨ ـ (الذريعة الى تصانيف الشيعة) للشيخ آغا بزرك الطهراني ـ طبعة النجف وطهران الأولى ١٣٥٥ ـ ١٣٨٤ هـ .

٩ ـ (وفيات الأعيان) لابن خلكان ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٦٧ هـ.

١٠ ـ (الكنى والألقاب) للشيخ عباس القمي ـ مطبعة العرفان صيدا ١٣٥٨ هـ .

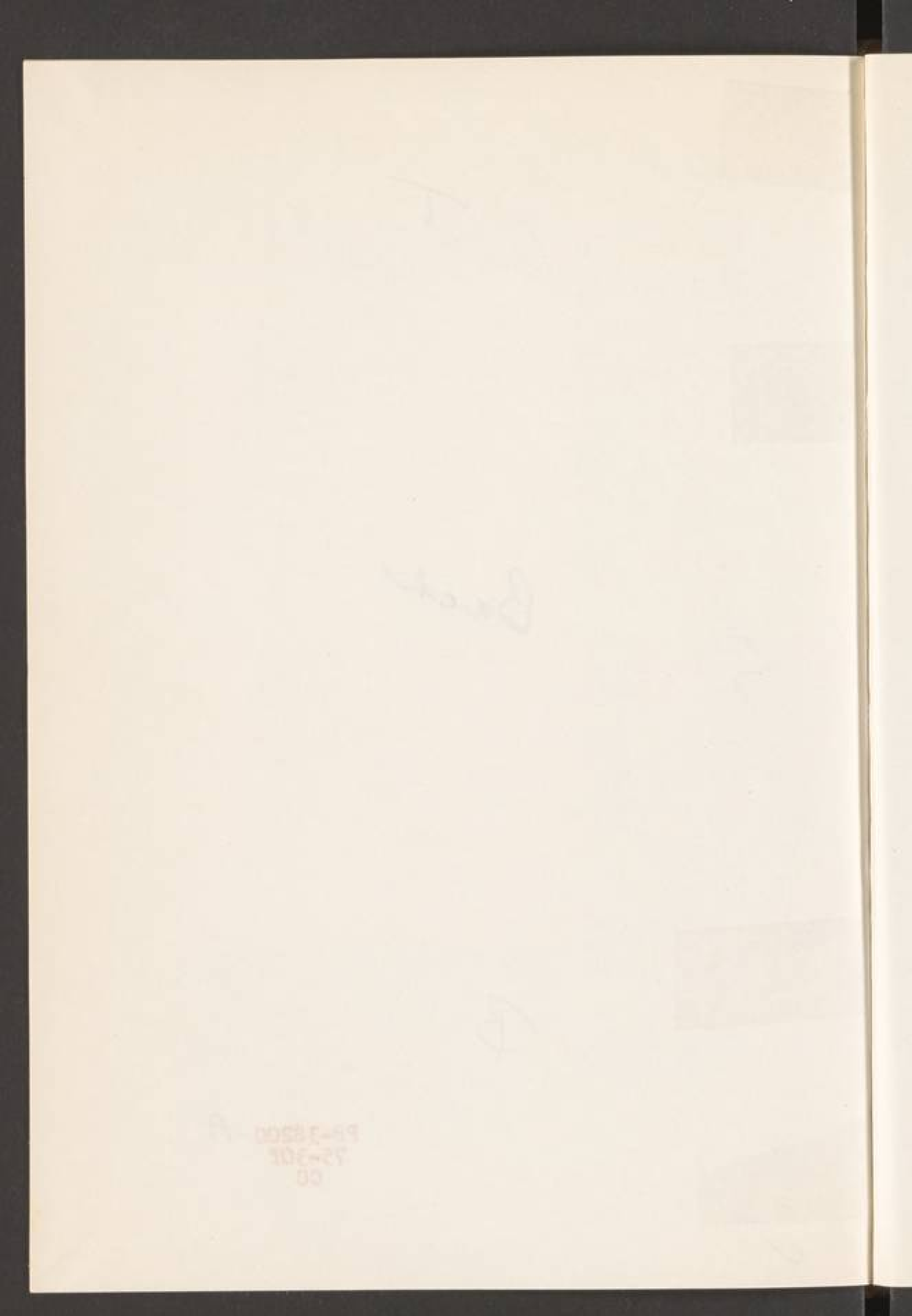
١١ ـ (ميزان الإعتدال) لأبي عبد الله الذهبي ـ دار احياء الكتب العربية ١٣٨٢ هـ .

١٢ ـ (معجم الأدباء) لياقوت الحموي ـ مكتبة عيسى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٥ هـ .

١٣ ـ (اسد الغابة) لابن الأثير الجزري ـ المكتبة الاسلامية بطهران.

١٤ ـ (الاستيعاب) لابن عبد البر ـ مطبعة نهضة مصر .

١٥ - (منتهى المقال) لأبي علي الحائري - الطبعة الحجرية ١٣٠٢ هـ .
١٦ - (الفهرست) لشيخ الطائفة الطوسي - المطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٥٦ هـ .
١٧ - (المعجم المفهرس) لمحمد فؤاد عبد الباقي - مطابع الشعب بمصر ١٣٧٨ هـ .
١٨ - (الرجال) لشيخ الطائفة الطوسي - المطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٨١ هـ .
١٩ - (رسائل الشريف المرتضى) مجموعة خطية في مكتبة صاحب الذريعة العامة في النجف الأشرف .
٢٠ - (المجموعة الخطية) الموجودة في مكتبة آية الله الحكيم العامة في النجف الأشرف برقم (٣٢) مخطوطات .

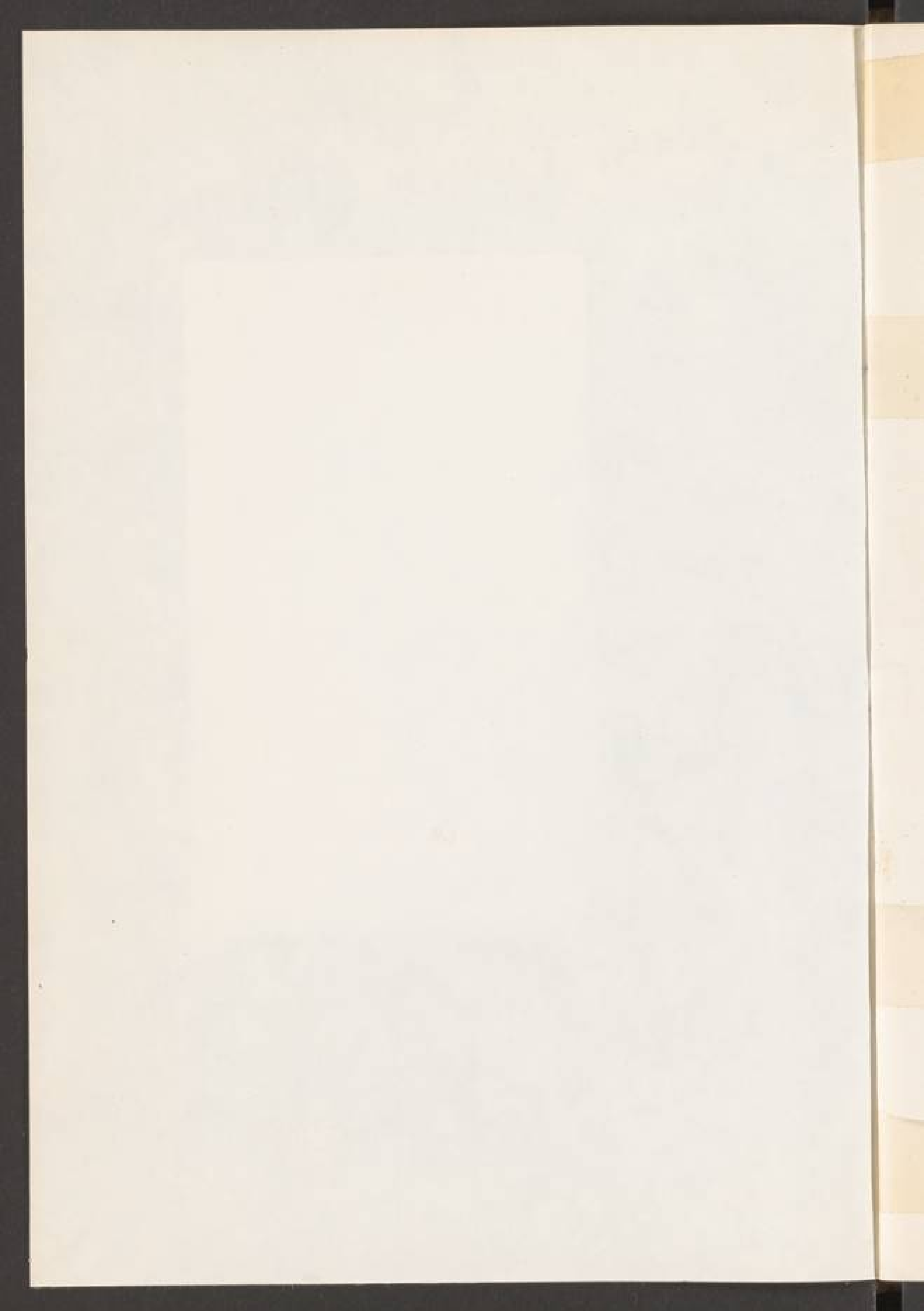


T

Bach

S

B





مطبعة الآداب
في النجف الأشرف